

JACOB

ALATHAR AL-SHARQ

[illegible]

لجنة البياز العبري

Princeton University Library



32101 059593044

اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى

للمستشرق الألماني جورج يعقوب

ترجمه بتصرف

دكتور
فؤاد محمد علي
مدرس بكلية الآداب
جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

مطبعة مصر
٤٠ شارع نوباريا (ساحات الدواوين)

١٣٦٥ - ١٩٤٦

٥٦٢٧

Jacob, Georg

الجنة النبيازلعربي

Athar al-sharq

اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى

للمستشرق الألماني جورج يعقوب

ترجمه بتصرف

دكتور
فؤاد فؤاد الأول

مدرس بكلية الآداب

جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

طبعة في مصر سنة ١٣٦٥ هـ
٤٠ شارع فؤاد باشا (ساحات شارع الدواوين)

١٩٤٦ - ١٣٦٥

(RECAP)

1408

.493

.3

.1946

مقدمة

وهذا مثل آخر من أمثلة أبناء الغرب الذين عنوا بدراسة الشرق والشرقيين ، فأغنوا المكتبة العربية بكثير من بحوثهم الفنية ، ونشروا من المخطوطات أمهات المصادر العربية من شعرية ونثرية ، وأصبحنا نحن أبناء العربية ندين لهم في نهضتنا الحديثة بالكثير مما وصلنا إليه .

وقد ولد « جورج يعقوب » مؤلف هذا الكتاب في ٢٦ مايو سنة ١٨٦٢ بمدينة (كونيجزبرج) بألمانيا ، وعنى منذ صغره بالدراسات الشرقية واللاهوتية ، إلا أنه انصرف عن الأخيرة وتفرغ للغات الشرقية والجرمانية وعلم معرفة الشعوب ، فدرس في (ليبزج) و(شتراسبورج) و(برسلاو) و(برلين) و(ارلنجن) و(جريفسفالد) على جمهرة من مشاهير مستشرق ألمانيا في ذلك العصر أمثال : (رويس) و(نولدكه) و(فليشر) و(الورد) ، وكانت الفكرة السائدة عن الشرق العربي في ذلك الوقت لا تتفق وماضينا السعيد وعصورنا الذهبية ، فالجامعات الأوروبية كانت تمهد أو تخدم الرغبات الاستعمارية ، وجرفها تيار السياسة ففغلت أو تغافلت عن البحث العلمي الصحيح المجرد من الغايات . اللهم إلا هذا النفر القليل من بعض المستشرقين الذين تتلمذ عليهم « جورج يعقوب » وتأثر بأرائهم ، فقد أدرك أولئك العلماء أن الشرق وإن دب فيه عوامل الضعف والانحلال وأصبح نهياً بين بعض الدول الغربية إلا أنه كان في العصور الوسطى معلم أوربا وإليه يرجع الفضل في نهضتنا المتأخرة . لذلك نجد « جورج يعقوب » يأخذ على عاتقه العمل على دراسة هذا الموضوع وإيفاء كل ذى حق حقه ، وقد لاقى خصومات شديدة من المستعمرين

10-18-67

1985

أولاً ، الذين كان جل همهم تحطيم الشرق مادياً وروحياً ، وأنصار الدراسات القديمة أعنى المدرسة الكلاسيكية التي كانت تشيد بمجد اليونان وترجع كل عوامل الرقي الأوربي إلى اليونان واليونانيين ثانياً . وقد نجحت هذه المدرسة سياسياً فحررت اليونان من تركيا وجمعت الشعوب الأوربية على هدف واحد ألا وهو وجوب التعاون سوياً والوقوف معاً في وجه الشرق والشرقيين ، وقد ظهرت آثار تلك المدرسة في أوائل القرن التاسع عشر وفي وقوف أوربا لمحمد علي بالمرصاد وفي خلق المسألة الشرقية .

في هذه البيئة كان يحيا « جورج يعقوب » وكان برماً بهذه الحياة قلقاً لأنه كان يؤمن إيماناً صادقا بعظمة الشرق ومجده خاصة الشرق العربي الذي انبثت منه في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد الأبجدية الكنعانية التي استعارها اليونان فالرومان فسائر الشعوب الغربية ، وغير الأبجدية أخذ الغرب عن البابليين الآشوريين كثيراً من مقومات الحضارة اليونانية القديمة ، ولم يمض زمن طويل حتى ظهرت المسيحية وشقت طريقها إلى أوربا فاستعمرت العقلية الأوربية استعماراً مازال إلى يومنا هذا قائماً . وغير الأبجدية والدين فالشرق كما شعر « جورج يعقوب » وأدرك هو معلم أوربا ومهذبها في العصور الوسطى ، لذلك كرس حياته لتحقيق هذه الرسالة فلاقي عنقاً من المغرضين وإعجاباً وتقديراً من المنصفين . أقدم هذا العالم الشاب على منازلة خصومه مزوداً بمختلف أدوات البحث ، فهو قبل كل شيء مؤمن برسائله مقتنع بصحة هذه المبادئ التي لقنته إياها الصفوة المختارة من رجال الإستشراق الألمان ، وكان أن قدم المؤلف نفسه بكتاب هو با كورة أعماله عاج فيه البضائع التي كان العرب يستوردونها من البلاد الشمالية البلطيقية ، وظهر هذا الكتاب عام ١٨٨٦ فلفت إليه الأنظار ثم أردفه في العام التالي برسالة نال بها اجازة الدكتوراه

أمام جامعة « ليزج » وموضوعها « التجارة العربية في العصور الوسطى مع البلاد الشمالية البلطيقية ». ومنذ ذلك الحين ونحن نرى عالمنا هذا يوجه جل عنايته إلى كل ماهو شرقي فدرس نبات الشرق وحيوانه دراسة دقيقة حتى قال المستشرق العظيم (فلهوزن) مرة : يجب على حكومتنا الألمانية أن تقيم حديقتين لحيوان الشرق ونباته وتعين « جورج يعقوب » مديراً لهما : وإلى جانب عنايته بعلمى الحيوان والنبات أصدر كثيراً من المؤلفات حول أثر الشرق في الغرب ، وجغرافى العرب ، وشعرائهم كما نشر كثيراً من التقارير العربية التى ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين عن المدن والأقاليم الألمانية . أما كتابه عن « حياة البدو فى العصر الجاهلى » فيعتبر من خيرة الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع ، والمؤلف علاوة على هذا الكتاب مؤلفات أخرى فى المelleقات ولامية العرب التى نشرها وترجمها إلى الألمانية كما درسها دراسة مقارنة وذكر جميع المراجع التى تعرضت لها . أما بحثه الخاص بتبسيط بعض قواعد النحو العربى والذى نشره عام ١٩٠٨ ، ودراسته للتوراة ومقارنته سفر نشيد الأناشيد بالشعر العربى فمن أهم الأبحاث التى عرض لها مستشرق .

لم يقف مجهود « جورج يعقوب » عند هذا الحد بل اهتم بالمسرح العربى ، واستطاع بعد جهد عظيم كلفه دراسة السنسكريتية والصينية تأريخ هذا الفن المسرحى المعروف بخيال الظل ، وكان أول عهده به عام ١٨٩٢ عندما سافر للمرة الأولى إلى استنبول دارساً للحياة التركية ، ووقع نظره هناك عليه حيث كان يعرض فى شهر رمضان ، ومنذ ذلك الحين ونحن نرى هذا العالم مكباً على دراسته والبحث عنه فاتسع أمامه ميدان البحث وامتد شرقاً حتى بلغ الصين واليابان وغرباً حتى إيسلنده ، وقد عثر على كثير من المسرحيات العربية التى ألفت خصيصاً لهذا النوع من التمثيل ، ولعل أحسن

شخصية اهتمت إليها هي شخصية محمد بن دانيال^(١). وفي عام ١٩٣٠ اتفق مع مستشرق آخر وهو (بول كالا) على النهوض بإصدار مجموعة من الكتب تدور حول هذا النوع من الأدب العربي وقد وفقا توفيقاً عظيماً. أما كتاب « جورج يعقوب » عن خيال الظل وتاريخه فيعتبر الوحيد والأول من نوعه .

ولم يكن هذا المستشرق العظيم فارس ميدان الأدب العربي فحسب بل كان من طلائع المستشرقين الألمان الذين وجهوا همهم إلى الدراسات التركية فثبتوا قواعدها أيضاً «جورج يعقوب» هو الذي جعلها مادة أساسية بعد أن كانت إضافية ، وهو صاحب المكتبة التركية التي نشر منها ما يربو على ست وعشرين مجلداً ، وهو الذي كتب كثيراً عن الشعب التركي وآدابه قديمها وحديثها ، وهو أول من عنى بدراسات الدين الإسلامي وأثره في الشعب التركي فألف في الدراويش والبكتشية ، وأوجد العلاقة بين هذه الفرق وبين الديانات السامية وثنيها ومُنزَهاً ، ونشر من الوثائق التركية القديمة الكثير خاصة ما يتصل منها بتاريخ المجر (توركيا إدارة سند مجارستان) كما نشر ديوانين أحدهما لمحمد الفاتح وثانيهما لسليمان القانوني .

أما حظ الفارسية من عنايته فلم يكن أقل من حظ العربية والتركية وغيرها من اللغات الشرقية ، فقد عنى بها عندما عرض لدراسة التصوف الإسلامي ، كما درس حافظ ونظامي وترجم إلى الألمانية الكثير من القطع النثرية الفارسية في بحثه عن ناصر الدين شاه ورحلته إلى كربلاء ، كما اهتم أيضاً بالسجاد وتاريخه .

وفي ٤ يولية سنة ١٩٣٧ توفي هذا العلامة بعد أن ترك للعالم عشرات الكتب ، ومئات الابحاث ، والكثيرين من التلاميذ وعلى رأسهم (أنوليتان) الذي عرفته الجامعة

(١) راجع الثقافة العدد ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ حيث نشرت شيئاً من حياة ابن دانيال ومسرحياته .

المصرية في عهدها الأهل والحكوى أستاذاً ، ومجمع فؤاد الأول للغة العربية عضواً ممتازاً .
ودع هذا المستشرق العظيم العالم بعد أن أدى رسالته ، فالفكرة التي هيمنت
عليه طالباً وأستاذاً ومؤلفاً قد تحققت في كتابه — أثر الشرق في الغرب خاصة
في العصور الوسطى — ففي هذا الكتاب نقرأ صورة صادقة لمختلف العوامل النفسية
التي كانت تتنازعها ، كما تتجلى لنا عبقرية العالم ، ودقة الباحث ، وتنوع الثقافات .
هنا لا يقنع « جورج يعقوب » ببيئة واحدة وشعب واحد وعصر واحد بل نراه يتنقل
بالقارىء من اليابان إلى الصين وبلاد التبت والهند وإيران فبلاد العرب وسائر
الأصقاع الإسلامية حتى يعبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا ويصورها لنا وقد
وقفت تستقبل الحضارة والثقافة وسائر العناصر الأساسية لقيام المدنية الغربية ، وهو
في هذا العرض يتفنن في هدم آراء المدرسة الكلاسيكية كما يصنع خصوم العرب
الصفحات المتوالية بإظهار فضل أبناء الجزيرة المباشرة أو غير المباشرة على الإنسانية .
فالعرب مدين للشرق في كثير من كالياته وأوليائه ، الغرب مدين للشرق في مأكله
وملبسه وحتى في مشربه فالقهوة العربية قهرت المشروبات الأوربية المحلية كما أصبح
الشاي الصيني أو غيره شراب الكثيرين ، وأنديته ملتقى كبار السياسيين والفكرين .
وبعد أن يفرغ المؤلف من تعداد أيادى الشرق على الغرب يختم كتابه كما بدأه داعياً
إلى وجوب إحقاق الحق وتحطيم الباطل والمساواة بين مختلف شعوب العالم .
هذا ولا يسعنى قبل أن أختتم هذه المقدمة إلا أن أقدم جزيل شكرى لصديقى
وزميلى الدكتور زكى محمد حسن أستاذ الفنون الإسلامية بجامعة فؤاد الأول لهذه
ال لوحات الفنية الجميلة التي قدمها لى لأضعها تحت نظر القارىء ليدرك مدى الرق الذى
بلغته الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية الماضية .

فؤاد حسنين على

رمضان سنة ١٣٦٥
أغسطس سنة ١٩٤٦

كثيراً ما خلط أصحاب الرأى القديم الحدود والثقافة بين المدرسة والحياة ، وكثيراً ما أدى هذا الخلط إلى قيام وجهة نظر جديدة لاتقف أمام الاختبار ولا تحتمل النقد ؛ هذا إلى محاولة أنصار هذا الرأى الخط من قيمة التراث العقلى للثقافات البشرية الأولى التى أثبتت الأبحاث الحديثة عظمتها ، وأماطت اللثام عن الدور بل الأدوار التى لعبتها فى تطور الفكر البشرى ورقيه ، وقد اهتمدى علماء ما قبل التاريخ إلى أن حوض البحر الأبيض المتوسط كان المركز الذى تكونت فيه أقدم أمواج ثقافية عرفها هذا الصقع من الكرة الأرضية والذى يطلق عليه أوربا ، وبذلك تحطمت الفكرة القديمة القائلة إن الغرب أسبق من الشرق (١) ، ودليل آخر على بطلان زعم أصحاب الرأى القديم ، هو أننا إذا قارنا بين شمال أوربا وجنوبها ، وجدنا فروقاً بعيدة فى العقائد الدينية وغيرها من المسائل المتصلة بالحياة وفلسفتها ، فالجرمان يتبعون مجموعة الأمم التى تذكر القمر وتؤث الشمس بخلاف اليونانيين واللاتينيين الذين يقولون العكس (٢) ، كذلك إذا نظرنا إلى العناصر الأساسية التى يتكون منها الفن الغربى وجدناها فى شمال أوربا غيرها فى جنوبها ، والشمالى يسبح ويجدف بخلاف اليونانى ، وحتى فيما يتعلق بترية الماشية وزراعة الأرض ، فالقوارق بعيدة بين الأوربيين ، الشماليين والجنوبيين ، ولعل السبب فى هذه الفوارق وغيرها وجود جبال الألب العالية التى تقوم حداً فاصلاً بين شمال القارة وجنوبها ، ومما يؤسف له أنه بالرغم من هذه الفوارق ، سواء تلك التى ذكرتها والتى لم أذكرها ، مازال هناك نفر من أصحاب المؤلفات الحديثة حول تاريخ النبات والاقتصاد يزعم أن كثيراً من الحاصلات الزراعية وصل إلى الجرمان إما عن طريق

الرومان في الزمن القديم ، أو عن طريق بلاد الغال في العصور الوسطى ، وهذا زعم باطل كما يقول «هوبس» (٣) ، وقد ذهب هذا العالم بعيداً فذكر أن الجرمان لم يأخذوا عن الرومان من الحبوب إلا صنف الشعير المعروف بذى السنبليتين . كما أنه من الثابت أيضاً أن جرمانيا كانت في عهد القياصرة البلاد التي تمون إيطاليا بالغلل والحبوب ، والجويدار مثلاً عرفه اليونان والرومان عن طريق الجرمان الشماليين والأخيريون أخذوه بدورهم عن جيرانهم الشرقيين كما يدل على ذلك اسم الحب . فلفظ «روجن» يتصل بالاسم «روجير» و«ريجن» .

كذلك إذا عبر الشمالى جبال الألب ونزل بمنطقة أوروبا الجنوبية وجد نفسه ببلاد تختلف نباتياً وحيوانياً اختلافاً كبيراً عن وطنه الأصلي الشمالى بخلاف ما إذا اتجه شرقاً حتى المحيط الهادى ، فالفوارق التي قد يلحظها قليلة أو معدومة ، ومن هنا وجد التفاوت بين سكان أوروبا الشماليين والجنوبيين ، وذلك لأن الإنسان كما قيل بحق ابن يثته ، ومن الجدير بالذكر هنا أن الأبحاث الحديثة أثبتت أن تزاوجاً ثقافياً تم قبل التاريخ بين شمال أوروبا وشرقها بخلاف الحال بين الشمال وحوض البحر الأبيض المتوسط فإذا سار إنسان من «أوست زيه» «البحر الشرقى» متجهاً إلى المحيط الهندى وجد بقايا المساكن التي كانت دائماً في المحيط الهندى والخليج الفارسى والبحر الأحمر ، والتي كانت تقطنها الصدفة الكورية ، والتي عثر عليها في حفائر البحر الشرقى ، وهي ترجع إلى ما بعد التاريخ (٤) ، وفي المتحف الإقليمي بدنزيج توجد نماذج من «كبريا انولوس» و«كرينولا» و«لينكس» و«مونيتا» و«تيجريس» كما نجد أيضاً صدفة كورية في أذن وجه مرسوم على إناء عثر عليه في «شتنجفله» (انظر شكل ١) وهذه الآنية وشبهاتها ترجع إلى عصر جرمانى قديم وهو العصر النحاسى (٥) ، وقد عثر على إحدى تلك الآوانى عام ١٨٩٠ عند «فيشين» بغرب بروسيا ، كما وجد في الأذنين على جانبي



(شکل ۱)

الوجه المرسوم بها ثلاث حلقات برنزية في أسفل كل حلقة صدفة كورية (٦) ، وبمتحف دنزيج إناء ثالث عثر عليه بالقرب منها يشتمل على طبق داخلي به « كبريا لينكس » و « كرنولا » (٧) ، وفي مدافن « نيوشدت » بالقرب من « البينج » ، عثر في مناطقها الأثرية التي ترجع إلى أوائل العصر الميلادي ، على « كبريا مونيتا » (٨) وفي الحفائر التي أجريت عند « روندزن » عثر على نموذج برنزي « كبريا تيجريس » (٩) يرجع إلى العصر النحاسي أيضاً ، وقد أهداه عضو البلدية « ك . بوم » عام ١٨٨٤ إلى متحف دنزيج الإقليمي ، وفي « ميلزیه » وجدت خمس صدفات كورية ومعها نقود عليها خط كوفي ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر (١٠) وفي « جوتلند » وجدت « كبريا ميلنوستوما » ترجع إلى القرن الثامن الميلادي (١١) ، وفي « بستفس » بجوتلند أيضاً وجدت ثلاث قطع من « كبريا مونيتا » (١٢) وبمدينة « مارين هوزن » عثر « فيتبسك » من أسرة ليبسكي على أكثر من خمسين قطعة من « كبريا مونيتا » ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر ، وقد نقلت هذه القطع إلى المتحف البولندي بمدينة تورن كما أشار إلى ذلك الأستاذ « كوفنتس » في خطابه بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٨٧٩ ، ويشير « كروزه » في مذكرات الجمعية الملكية لرجال الآثار الشمالية القديمة ١٨٣٦ - ١٨٣٩ كوبنهاجن إلى مجموعة من الصدفات الكورية التي عثر عليها في إقليم البحر الشرقي ، ويذكر المؤلف أنه رأى قطعة منها في القسم الخاص بما قبل التاريخ في المتحف الجرمانى بمدينة نورنبرج . والنتيجة التي يصل إليها بعد عرض هذه الحفائر وما عثر عليه فيها من آثار هي أن « كبريا » انتقلت منذ أزمنة بعيدة وفي عصور مختلفة نحو الشمال ، وقد اختار المؤلف أهمها فذكرها واكتفى بالإشارة إلى كتاب العالم السويدي « إرنا » واسمه « السويد والشرق » (١٣) والذي يتحدث مؤلفه فيه كثيراً عن الآثار الشرقية التي عثر عليها في السويد ، وغير تلك الآثار نجد النقود الكوفية (١٤)

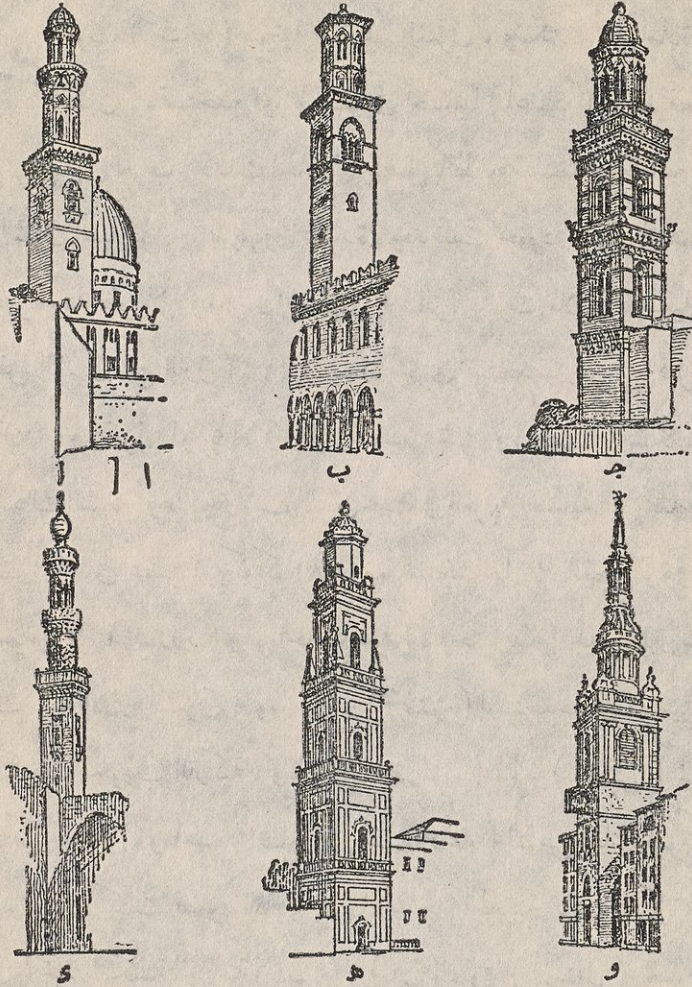
التي وجدت في روسيا وإقليم البحر الشرقى والتي ترجع غالباً إلى ما بين القرنين الثامن والعاشر كما أن الكثرة المطلقة منها من هذا النوع الذى كان متداولاً في القسم الشرقى من الدولة الإسلامية أعنى القسم الإيراني ، وتشير هذه النقود إلى كثرة العلاقات ونموها بين الشرق العربى وبلاد أوربا الشمالية ، وقد عثر مرة على نقود عربية تدولت أيام حكومة « فلديمير » ويبلغ عدد قطعها ١١٠٧٧ منها ١٠٠٧٩ قطعة ترجع إلى حكومة السامانيين التي قامت ببخارى ، وعثر في مائتي موضع بالسويد على نقود كوفية ، كذلك في جوتلند على مجموعة أخرى كوفية يقدرها « هلدبرند » بنحو ١٣٠٠٠ قطعة كما عثر على أخرى في جزائر أوركنى (١٥) وفي اسلندة (١٦) ، ويحتوى متحف كيل على عدد كبير جداً من النقود الكوفية (١٧) ، ولم يقف النشاط التجارى الإسلامى عند شمال أوربا بل نجده يمتد جنوباً ويتوغل في آسيا حتى يبلغ الهند . وقد عثر « فريد لندر » (١٨) في « أوبرزيكو » بمدينة « بوزن » على قطعة من النقود عليها كتابة « ديفناجرى » .



والله لننتقل من العصر القديم إلى العصور المتأخرة . إنا نعتقد في ديانة شرقية ، ونحيا متأثرين بطقوسها وتعاليمها . لم يفهم مؤسسها اليونانية وتكلم الآرامية ولم تستطع الآداب الهلينية أن تشق طريقها إلى المسيحية بخلاف وجه الشبه الذي نجده بين بعض تعاليمها وبعض محتويات بردية ديموطيقية (١٩) ، ويكفي أن نقرأ في موعظة المسيح على الجبل قوله : طوبى لضعاف العقول لأن لهم ملكوت السموات : نندرك بُعد هذا الدين عن التعاليم الهلينية ومعارضته لها . وقد أثرت المسيحية في حياة الغرب تأثيراً قوياً حتى أن بسمارك قال : الديمقراطية الاجتماعية هي المسيحية العملية : والشبه قوى جداً بين قباب الكنائس العالية ومساجد الشرق ذات المآذن الرفيعة ، وفي الكنيسة نجد ما يشبه محراب المسجد ومنبره ، والمسيحي في كنيسته يشعر شعوراً يخالف ذلك الذي يشعر به داخل المعبد القديم حيث السقف المسطح الذي لا يترك في النفس الأثر الذي تتركه القبة السماوية العالية . ويلاحظ كذلك أن آلهة المعابد لاصقة بالأرض ، ويخيل للناظر إليها كما لو أنه رابضة في أقفاص ، وما أعمدها إلا كالقضبان . وطقوسها تتجلى في قرابينها الدموية بخلاف المسيحية حيث دونت عباداتها في كتب مقدسة وإن كانت مقتبسة من اليهودية وتؤدي أحياناً بطرق يظهر فيها الأثر الفارسي . أما نواقيس الكنائس المسيحية فأخوذة عن الطقوس الصينية ، وهي قديمة جداً في الشرق ، وقد ترجع إلى الألف الثاني ق. م. (٢٠) والمسيحي يؤدي صلاته لا على الطريقة الهلينية ببسط يديه إلى المعبود بل بضمهما إلى صدره بطريقة تقرب من تلك التي نجدها في الصلاة الهندية (٢١) وذلك بوضع باطن اليد على باطن اليد الأخرى دون اشتباك الأصابع

(بدها نيل) . أما المسيحية فقد جاءت إلى المسيحية من الهند عن طريق المسلمين .
وعيد الميلاد الجميل عند الألمان أصوله شرقية فهو العيد الإيراني القديم (زرفن) أى
(زمن) ، وهو بعينه الذى أطلق عليه فى الإسكندرية (أيون) (٢٢) و (زرفن) هذا
أو (أيون) يتجدد عندما يحتفى سلفه كطفل (٢٣) فى النور . وتمثيل العذراء ترجع
إلى صورة إيزيس ، كما أن تصوير ميلاد (مترا) من بين الصخور مصحوباً عادة
بصلاة لرعاة يذكرنا دائماً بهذه العناصر الدينية التى تتجلى فى رعاة على قمم الجبال
يحيون كل صباح إله الشمس الذى يولد كل يوم من جديد . وتجدد الميلاد عند
المسيحيين يفهم فقط عندما نستعرض أمامنا هذا المنظر . كذلك الفلسفة المسيحية
فى العصور الوسطى تتفق تماماً مع الفلسفة الإسلامية ، كما أن التصوف الألمانى أقرب
إلى الفارسى منه إلى تصوف العالم القديم . وفى الغرب نجد الراهب ، وفى الشرق
الدرويش ، والراهب والدرويش يتبعان فى حياتهما نظاماً خاصاً وضعه مؤسس الطريقة
التي يتبعها الراهب أو الدرويش ولو وجد بعض خلاف بين الدير والتكية . وفكرة
الراهب المتسول تتفق وفكرة (بهيكهو) فى البوذية . وحتى اليوم نجد عناصر هندية
تتصل بالحياة ، والنظر إليها ، تسربت إلى أوروبا عن طريق شوبنهاور والآراء الفلسفية
التيوزوفية والانتروبوزوفية التى يعتنقها كثيرون من رجال الغرب (٢٤) . والخرافات
المنتشرة بين الشعوب الأوربية ترجع كثرتها إلى البابليين كغراب البين والشهر الثالث
عشر (٢٥) وعطلة يوم الأحد التى تلاحظ بشكل واضح جداً فى إنجلترا ، بابلية أيضاً
ولو أنها كانت تقع عند البابليين فى يوم السبت لاعتباره من الأيام التى تقع تحت
تأثير كوكب نحس ، لذلك كان غير مستحسن القيام بعمل تجارى فى ذلك اليوم . والواقع
ان الراحة يوم السبت التى أخذها الإسرائيليون عن البابليين مصدرها هذا التشاؤم
بالرغم من كل المحاولات والتعديلات التى يحاول العهد القديم بثها بين معتنقيه . واللعبة

المنتشرة في بروسيا الشرقية ، والتي تلعب في نهاية كل عام ، ويطلق عليها الألمان
(الحظ والبركة) ترجع في الواقع إلى عناصر فلكية كانت معروفة في العصور الوسطى.



شكل يبين لنا الشبه القوي بين المآذن وأبراج النواقيس

يستخدم

الغرب (كتابة) صوتية اخترعها الشرق ، وتكتب على مادة من صنع الصين . وتستخدم أوربا أيضاً في حسابها (أعداداً) يرجع فضل معرفة رجال الغرب بها إلى العرب ، كذلك الحال فيما يتصل بالطريقة المتبعة في (طباعة الكتب) وقد عرفها شرق آسيا قبل أوربا بقرون عديدة ، وقد ظلت جهود الشرق في هذه الناحية وغيرها مجهولة زمناً طويلاً . و (إبرة المغنطيس) ، التي يسرت الملاحة ، صينية الأصل . واستعاض الشرق عن البرق (٢٦) بوسيلة أخرى استخدمها من قبل الحروب الصليبية (٢٧) ولم تعرفها أوربا إلا في القرن التاسع عشر . و (العربة) فشكلها وتركيبها عبارة عن ذلك الشكل وهذا التركيب اللذين نجدهما في العربة الصينية التي يحملها الرجال ، وقد دخلت أوربا في عصر الروكوكو (٢٨) مع استخدامها على العجل . وفي الحروب تعتمد الجيوش على (البارود) وهو اختراع صيني ، وحتى نظام الجيش البروسي القديم فقد تسرب إليه الأثر الشرقي . وما (آلة الشمس) المستخدمة في موسيقى الجيش إلا من ذكريات الحروب التركية ، وما (راية الفرسان) ، وما (القلع) الذي نجده في غطاء رأس الفارس ، وما هذه (الطبل التي تشبه الوعاء) إلا من آثار الجيوش التركية وحتى عهد قريب كانت تطلق بافاريا على الأسلحة الجانبية الإسم التركي ، وفي لفظ (اميرال) نجد الكلمة العربية (أمير) و (ال) ، وفي (أرسنال) العبارة العربية (دار الصناعة) . كذلك كثير من تقاليد القصر الألماني جاءت من الشرق . وبعض الألعاب المنتشرة في أوربا شرقية الأصل وحتى تلك التي نجدها في أسواقنا الشعبية السنوية . و (القطون) الذي حاربه الكنيسة في العصور الوسطى لأنه قماش

إسلامي غزا اليوم العالم ، و (التوابل) و (القهوه) و (الناي) و (السكر) ومواد أخرى أساسية للمنزل كلها شرقية وعن الشرق أيضاً أخذ الغرب فن تنسيق الأراضي والحدائق والمنزهات وما بها من (شجيرات ذوات أزهار بيضاء أو حمراء) و (ياسمين) و (مقاييس) و (كستناء) . واللغات الأوربية ملأى بالألفاظ والمصطلحات الشرقية مثل (الجبر) و (الكحول) و (القبة) و (النبل) و (العرو) و (الأطلسي) و (بارار) و (قز) و (هوردة) وأصلها الكلمة التركية التي معناها جيش . و (ياسمين) و (هبة) و (جوهر) و (كرسنر) أي (فراء) و (لك) و (العود) و (المخزنه) و (بنج) و (غازية) و (رزنة) و (سبطانه) من الفارسية (هوطانه) و (شراب) و (صوفا) أي (صفة) و (نغت) و (نغريفه) و (نولب) أي (مقاييس) و (السميت) و (صفر) و (سكر) (٢٩) . وحتى بعض أسماء النجوم مثل (الدبران) و (الفول) الذي أطلق عليه هذا الإسم لتغير قوة نوره بسبب طبيعته ، فهو يشبه الغول عفريت الصحراء في تقلبه وكذلك النسر (الواقع) (Vega) ، وغير تلك الألفاظ نجد كثيراً من الكلمات والاصطلاحات العبرية تدخل اللغات الأوربية عن طريق الكتاب المقدس (٣١) مثل (ابنه الإنسان) فهي العبرية (براناسه) وهي التي انتقلت إلى الألمانية في التعبير Menschenskind وكذلك (ريساك) Rupsack فهي العبرية (رب شاة) وأحياناً نجد بعض الأسماء محتفظة بالنطق العبري الأشلي مثل (Mammon) فهي (مأمونه) و (كريني) و (بليتي) و (نوهو وبوهو) أي (ضرية ضالية) ، وكذلك (سبولت) فهي العبرية (سبولت) أي سنبله وهما جرا . وغزا أوربا أيضاً عدد كبير من أسماء الإناث الواردة في الكتاب المقدس مثل (اليزابت) أو (اليسانبات) فهي العبرية (اليسمع) (٣٢) و (بومنا) التي هي (بومناناه) و (ماري) مريم و (سوزانه) هي (موش) ومعناها (موشه) . وكذلك أسماء بعض قياصرة ألمانيا مثل (ميناسي)

١٦١٢ — ١٦١٩ فهو العبرى (متيا) وكذلك (يوسف) فهو (يوسف) . والملابس الرسمية للقيصرة الألمان فى الزمن السالف مزر كشة بكتابات عربية (٣٣) ورمز الدولة الألمانية الذى هو عبارة عن نسر ين أصله شرقى (٣٤) ، وحتى ميشيل الألمانى فاسمه عبرى .

لكن لا يريد المؤلف أن يقع فى أخطاء غيره ويندفع فى تيار الجماعة القائلة إن العالم يدين فى ثقافته الحالية كلها للبابليين أو لأصحاب الثقافات القديمة . وتذهب هذه الجماعة بعيداً وتسجل كل استعارة من الثقافة القديمة ربماً للحضارة الحالية ، ولا يسأل أفراد هذه الجماعة أنفسهم عن الخطر الذى قد يهددنا بالعودة إلى الوراء من جراء تلك العوامل المؤثرة التى تهب على مدينتنا وحضارتنا من نواحى مختلفة . ويعتقد المؤلف أيضاً أن فى الآداب الشعبية توجد أفكار شعبية كثيرة تسبب كثيراً من المشاكل ، كما يذكر ذلك أيضاً (هنز نومان) (٣٥) فهو يعتقد أن هناك ثقافة بدائية تشترك فيها سائر الشعوب ، وإن كان المؤلف يرى أنه بالرغم من وجود هذه الثقافة المشتركة إلا أن هناك ثقافات تقوم فى أقطار مختلفة ، وقد تكون هذه الثقافات متشابهة بالرغم من قيامها مستقلة ، وهى فى كل إقليم بعيدة عن التأثير بغيرها . وليس معنى هذا أن شعباً لم يأخذ عن غيره شيئاً من ثقافته أو مخترعاته كما تبيننا ذلك فيما سبق ، ويجب ألا نتورط فى الخطأ الشائع ونعتبر كل مسمى باسم أجنبى دخيلاً بدليل أن الألمانى يطلق أحياناً أسماء أجنبية على مخترعاته هو الخاصة كما هو الحال فى لفظ «تلجرافى وليتنوجرافى» وهما جرا .

أهم العناصر الأساسية في قيام الثقافة استخدام الكتابة الصوتية ، فمن اليونانية
 اللاتينية نشأت فيما يُعتقد في « البحر الأسود » الكتابة المعروفة باسم
 « رونفوتهارك » ، وفي إيطاليا أصبحت الكتابة اللاتينية أيام فريدرش الثاني
 « من أسرة الهوهنشتوفن » الكتابة الرسمية ، ثم جاءت بعدها الألمانية ورسمها إلى اليوم
 يتفق والورق العربي الذي كتبت عليه قديما ، لكن مما يؤسف له أن الألمان ضحوا
 بخطهم القديم الجميل في سبيل خط كان يكتب أصلا على الحجر ، ومن ثم على الورق
 وتطور من خط كله زوايا إلى آخر مربع . لكن إذا علمنا أن هدف الإنسانية الذي
 تسعى إلى تحقيقه هو تيسير طرق التفاهم وتسهيل وسائل التعاون أدركنا أننا لسنا
 على حق في التفرقة بين خطنا والخط الانجليزي . واليونان وقد قاموا بدور الوسيط
 في سبيل تيسير الكتابة ونشرها يعترفون صراحة أنهم يدينون في هذه الرسالة للشرق
 والشرقيين ، فالأبجدية الحالية سامية رسماً واسماً ، وقد أثبت العلامة « ليدزبارسكي » (٣٦)
 بالدليل القاطع علاقة الكتابة اليونانية بالسامية وكيف أنها أخذت عنها . ومما هو
 جدير بالملاحظة أن الخط اليوناني جهد بعد ما بلغ مرحلة من التطور خاصة ، وأصبح
 عاجزاً عن مجارات الخط السامي وتطوره الفني الجميل هذا التطور الذي نلاحظه في غير
 الكتابة السامية أيضاً مثل الصينية والقوطية . وصدق العلامة « يوليوس اويتنج »
 الذي اعتاد أن يقول إن الألف العربية التي أتقنت كتابتها أوقع في نفسه من صورة
 عذراء جميلة بريشة رفائيل . وذلك لأن الحروف اليونانية خاصة حروف التاج تترك
 في نفس الناظر إليها أثراً سيئاً إذا ما قورنت بالخط العربي وخاصة ذلك الذي

تخطه أيدي كبار الخطاطين . وقد يكون الشعب الفينيقي ليس هو مخترع الأبجدية إلا أنه من الثابت أيضاً أن أصحابها ساميون لا آريون ، والدليل على سامية تلك الأبجدية أسماء حروفها ولو أن بعض هذه الأسماء مثل « ه » و « حيت » و « طيت » و « صاد » و « قوف » لا نعرف لها في السامية اشتقاقاً ثابتاً يُعتمد عليه ويؤخذ به . وقد يكون هذا الغموض راجعاً إلى أن أسماء هذه الحروف من بقايا لغة المخترع الأصلي التي ضاعت لكن يجب أن نعترف أيضاً أن ما وصلنا من لغة الفينيقيين قليل ضئيل ، كذلك الحال مع ما نعرفه من لسان بعض الشعوب السامية الأخرى كالآدوميين . ولو أن فكرة الحروف الصوتية نشأت في محيط العالم الثقافي دفعة واحدة إلا أنه أضيفت إليها بعض الزيادات كما هو مشاهد عند اليابانيين مثلاً وعند « الباتاك » في سومطره ، وكذلك عند « الوي » بإفريقيا . والغريب أنه لم يفكر شعب أوربي في القيام بمثل هذا العمل . والهنود (٣٧) والبارزيون يكتبون رسائلهم المقدسة بكتابة يرجع إلى الفينيقية أو بتعبير أدق إلى الكنعانية (٣٨) . وفيما يتصل بتطور الخط والكتابة نجد علماء المصريين والأشوريات يساهمون بنصيب كبير في كشف هذا القناع ووضع يدنا على عملية هذا التطور وكيف تمت قديماً في الشرق . وفي عام ١٩١٦ نجد المستشرق الانجليزي « جردنر » ينشر بعض النقوش المكتوبة بخط لم يكن معروفاً من قبل ، هو الحلقة المفقودة بين الهيروغليفية المصرية والكنعانية (٣٩) وبعد دراسات عميقة قام بها « فون بيسنج » (٤٠) ثبت أن هذه النقوش ليست أقدم من عام ١٥٠٠ ق . م . وفي بعض إشاراتها نستطيع أن نتعرف بسهولة إلى بعض إشارات الكتابة الهيروغليفية ، كما نجد الشبه قوياً جداً بينها وبين الكنعانية ، ففي هذه نستطيع أن نتعرف مثلاً إلى كلمة « بعلت » التي هي الاسم الكنعاني لهاتور . ويظهر أن الساميين استعاروا الصورة التي استخدموها في أبجديتهم للدلالة على الصوت الأول من التسمية السامية من المصريين .

والله

نسأل أنفسنا هذا السؤال . ماذا جنت ثقافتنا من وراء هذا النوع من الكتابة ؟ ليس تسهيل القراءة ، وذلك لأن علم النفس أثبت أن مثلنا مثل الصينيين ، فنحن لا نقرأ حروفا بل كلمات ، ومن هنا نجد صعوبة عند قراءة جملة في لغة أجنبية ، وقد أدت هذه الحالة النفسية إلى أننا نكتب أحيانا بعض الكلمات مختصرة بحيث أن الحروف لا تعبر كاملة على نطق الكلمة ، مثلا لكتابة كلمة « ليزج » نكتفي أحيانا بكتابة « ليزج » أى نكتب الحروف الصامتة هنا فقط ونحذف الحركات ، وهذا النوع من الكتابة هو الذى أدى إلى ظهور النقص فى الإملاء هذا النقص الذى أدى إلى تشويه كتابة الكلمة وبتأصواتها ، وليس هذا هو العيب الوحيد الموجود فى كتابتنا فهناك عيوب أخرى منها أننا نستخدم أكثر من إشارة للدلالة على الصوت الواحد كما هو الحال فى الألمانية حيث نجد الاشارتين « v و f » للتعبير عن الصوت الذى نعبر عنه فى العربية بالإشارة « ف » ، كذلك نجد الكتابة تستخدم الإشارة الواحدة للدلالة على عدة أصوات كما هو مشاهد فى الانجليزية مثلا حيث نجد الإشارة « a » تنطق حيناً فتحة وحيناً ألفاً وحيناً ضمة ، لكن بالرغم من أوجه النقص هذه التى ذكرت والتى لم تذكر فقد أدى استخدام هذه الأبجدية السامية إلى نشر الكتابة ونشر الثقافة لأن حروفها يسرت للطباعة مهمتها وعاونتها على الظهور . وفائدة أخرى لهذه الأبجدية هى تلك التى تتجلى فى استخدام البرق ، وما كان ذلك بممكن أو بمستطاع لو كنا نستخدم كتابة الصور أو المقاطع . نعم إن كتابتنا ناقصة من الناحية الصوتية وذلك لأن الإشارات الدالة على الحروف تعبر

فى نفس الوقت على مخرجها وطريقة تكوينها كما أن أصواتها فى حاجة إلى أن تفصل وكتابتها أن تبسط لكن بالرغم من جميع هذه العيوب ما زالت أتم أداة أوجدها الإنسان .

هبة أخرى من هبات العقل الشرقى لا تقل أهمية عن اختراع الأبجدية وصلت أوروبا فى العصور الوسطى وهى (نظام العدد العربى) الذى هو عبارة عن آخر بقايا الكتابة الفكرية فى كتابتنا الحالية ، ولكى نشخص كتابة العدد وموضعه من حيث تقديمه وتأخير من عدد آخر ، أو من حيث قيمته بالنسبة للصفر نتصور جدولاً لوغارتمياً بأعداد يونانية أو رومانية . كذلك ندرك قيمة هذه الأعداد العربية إذا ذكرنا العلوم الرياضية والميكانيكية والفلكية الحديثة وحتى الحساب لتتصور عملية جمع أو طرح أو ضرب أو قسمة بحروف رومانية ولتتصور كتابة عدد كالاتى : CICI CCCCLXXXVIII على غلاف كتاب كما كان ذلك منشراً قبيل عام ١٨٨٨ ، وكل لغوى يدرك بسهولة كيف أن استخدام الحروف الرومانية الدالة على الأعداد كان مصدر الأخطاء المطبعية الفاحشة . أما ترتيب كتابة الأعداد والصفر فمن اختراع الهنود ، وقد حدثنا عن ذلك العالم العربى اليعقوبى أحد علماء القرن التاسع فى تاريخه الذى نشره (هوتسا — ج ١ ص ٩٢ — ٩٣) . فقال : —

« قال أهل العلم إن أول ملوك الهند الذين اجتمعت عليه كلمتهم (برهمن) الملك الذى فى زمانه كان البدء الأول ، وهو أول من تكلم فى النجوم وأخذ عنه علمها ، والكتاب الأول الذى تسميه الهند (السندهند) وتفسيره « دهر الدهور » ومنه اختصر (الأريجهر) و (المجسطى) ثم اختصروا من (الأريجهر) الأركند ومن (المجسطى) كتاب بطليموس ، ثم عملوا من ذلك المختصرات والزيجات ، وما أشبهها من الحساب ووضع التسعة الأحرف الهندية التى يخرج منها جميع الحساب الذى لا يدرك معرفتها

وهي ٩٨٧٦٥٤٣٢١ فالأول منها واحد ، وهو عشرة ومائة ، وهو ألف ، وهو مائة ألف ، وهو ألف ألف ، وهو عشرة آلاف ألف ، وهو مائة ألف ألف ، وعلى هذا الحساب أبدا فصاعدا . والثاني وهو اثنان ، وهو عشرون (وهو مائتان وهو ألفان وهو وعشرون) ألفاً ، وهو مائتا ألف ، وهو ألفا ألف ، وعلى هذا الحساب يجري التسعة الأحرف فصاعدا غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت ، وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دارة صغيرة .

أما « الصفر » فلم يحار بقية الأعداد في تطورها وسلك طريقه الخاص . كذلك الحال مع الإشارة الدالة على عدم وجود قيمة ، والتي تعتبر بحق من أحسن ما اهتدى إليه العقل البشري ، هي من اختراع الشرق ، وقد مرت بأدوار هامة في تاريخ الثقافة البشرية . فالثابت أن الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي بينما تحدثنا المصادر العربية أن المساميين كانوا يعرفونه في القرن الثامن وكانوا يسمونه حلقة ، فكتب الأدب العربي حفظت لنا هذه القصيدة التي قالها الإعرابي (٤١) لما أغزاه الوليد بن يزيد الأسود بن بلال المحاربي البحر ، وفيها يشير إلى استخدام الحلقة للدلالة على عدم وجوده : —

أقول وقد لاح السفين مُلَجَّجًا	وقد بَعُدَتْ بَعْدَ التَّقَرُّبِ صُورُ
وقد عصفت ريحٌ وَلِلْمَوْجِ قَاصِفُ	وَلِلْبَحْرِ مِنْ تَحْتِ السَّفِينِ هَدِيرُ
ألا ليت أجزى والعطاء صفاهم	وحظي حَطُوطٌ فِي الزَّمامِ وَكُورُ
فله رأيٌ قاذي لسفينة	واخضرَ مَوَّارِ السَّرَّارِ يَمُورُ
ترى مَتْنَهُ سهلا إذا الريحُ أَقْلَعَتْ	وإن عَصَفَتْ فالسهل منه وُغُورُ
فيا ابن بلال للضلال دعوتني	وما كان مثلي في الضلال يسير

لئن وقعت رجلاى فى الأرض مرّة
وسلّمت من موج كأب متونه
وحان لأصحاب السفين و كور
حراء بدت أركانه وثير
ولذلك إن كان الإياب يسير
لذيذ وعيش بالحديث غزير
وقد كان فى حوّل الشربة مقعد
ألا ليت شعرى هل أقولن لفتية
دعوا العيس تُدنى للشربة قافلا
له بين أمواج البحار و كور

ولست هذه القصيدة هى الدليل الوحيد الذى يساق للتدليل على أن عدم وجود القيمة كان يعبر عنه المسلمون بالصفّر ، وأن الصفّر كان عبارة عن حلقة ، بل هناك مصادر أخرى كثيرة منها كتاب النقط لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى . فقد جاء به فى ص ١٥٠ « قال أبو عمرو وهذه الدارة التى يجعلها أهل النقط قديماً وحديثاً على الحروف الزوائد فى الخط المدومة فى اللفظ ، وعلى الحروف الخففة هى مما جرى استعمال أهل المدينة لها فى ذلك من مصاحفهم . . . وهذه الدارة نفسها هى الصفّر الصغير الذى يجعله أهل الحساب على العدد المدوم فى حساب الغبار دلالة على عدمه . » .
وغير كتب القراءات والمصاحف ودواوين الأدب نجد كتب النحو المفصلة تخصص للصفّر بعض صفحاتها عند كلامها عن السكون أو العدد كما فعل ابن يعيش مثلاً فى ج ٩ ص ٦٨

و يعتقد المؤلف أن سلسلة من الظواهر المتصلة بالصفّر وتطوره قد مرت على الإنسان قديماً وأهلها ، مثل الإشارة الدالة على الحذف تنوعت واختلفت فأحياناً يعبر عنها بواسطة دارة ، وأحياناً بواسطة نقطة كما هو ملاحظ فى النصوص العبرية للعهد القديم حيث توضع نقطة فوق الحرف للإشارة إلى خفته (قارن مثلاً النص العبرى للتوراة سفر التكوين الإصحاح السادس عشر الآية الخامسة) وإذا رغب فى الإشارة إلى إلغاء

الكلمة كلها وضعت نقط على جميع حروفها (تكوين إصحاح ٣٣ آية ٤) واستخدام هذه النقطة في التلمود (٤٢) دليل على أنها أقدم من نظام الحركات الماسورى الذى لم يعرفه التلمود . كذلك فى النص الكوفى من (سجل فنسشتين رقم ٥) (٤٣) نجد نقطة صفراء مستخدمة كإشارة للحذف . وحتى اليوم يلغى الألمانى الخط أو الخطوط التى أراد التعبير بها عن حذف كلمة بوضع نقط ، وهذه النقطة أيضاً هى بعينها المستخدمة للدلالة على الاختصار . أما العلاقة بين هذه النقطة وبين الصفر فمربىة جداً ، وذلك لأن الصفر الذى يشار إليه اليوم برسم دائرة كان يعبر عنه قديماً كما هو الحال إلى اليوم عند العرب ، بواسطة نقطة . وغير النقطة تستخدم العربية إشارة أخرى للدلالة على عدم وجود الحركة ويطلق على هذه الإشارة عادة (جزمة) وهى عبارة عن دائرة مفتوحة من أعلى ولا صلة لها بالبتة برسم الصفر إذ أنها عبارة عن تطور خطى لرسم حرف الجيم فى العربية (٤٤)

والآن نوجه إلى أنفسنا السؤال الآتى أين استعمل الصفر للمرة الأولى كوحدة حسابية ؟ عثر العلامة (هرنله) فى قطع هندية ترجع إلى القرنين الثالث أو الرابع وتشتمل على بعض المواضيع الحسابية على الصفر لكنه استعمل فيها للدلالة على المجهول (٤٥) ، وإذا تركنا الهند إلى الصين لوجدنا الأمر غامضاً صعباً ، وذلك لأن قطع العملة الصينية التى عثر عليها والتى كان ينتظر ظهور الصفر بها لا تقدم معلوماتنا خطوة واحدة فى بعض هذه القطع نجد الصفر ، وفى البعض الآخر لا يوجد للصفر أثر ، وحتى تلك التى جاء فيها الصفر لا يمكن الاعتماد عليها . وفى غير الهند والصين نجد أمريكا تساهم بنصيب وافر فى سبيل تاريخ الصفر ونشأته وذلك لأنه عثر عليه وعلى أجزائه فى التقويم الذى يرجع إلى ما قبل اكتشاف كولبس للقارة الجديدة ، والذى يطلق عليه تقويم (مايا) فقد جاء الصفر فى تلك النقوش معبراً عنه بواسطة رسم يشبه الصدفة

الجوفاء (٤٦). ومن الجدير بالذكر هنا أن الهنود يطلقون على الصفر لفظ (سونيا) أى فارغ أو (كها) أى هواء . والإشارة الدالة عليه تسمى فى لغتهم (بندو) أى نقط . أما لفظ (صفر Ziffer) فهو العربى (صفر) بمعنى « خلا » وتدل اللفظة فى الألمانية على معنى « لاشئ » وقد استخدم (مارتين لوتر) لفظ (صفر) للتعبير عن ضعف الأساقفة أمام البابا ، إذ قال ما معناه : إنهم يجلسون كالأصفار (٤٦) . وفى القرن السادس عشر نجد لفظ (صفر) فى الألمانية يتطور تطوراً آخر فيستخدم مقابلاً للفظ (شفر Chiffre) للتعبير عن كل إشارة عددية ، بينما استخدمت اللغة لفظ (زيرو Zero) للدلالة على « لاشئ » وقد حاول (كرومباخر) (٤٧) إرجاع لفظ (صفر) إلى الكلمة اليونانية (فسو) (فو) (ريا) فلم يوفق وذلك لأن اللفظ فى حقيقته عربى ولا نعرف فى لغة القرآن الكريم ظاهرة صوتية تؤيد احتمال انتقال هذا اللفظ من اليونانية إلى العربية بصيغته الحالية . ولفظ (صفر) هذا قد استخدم فى الشعر الجاهلى للتعبير عن معنى « خلا » فيروى أن حاتم قال فى قصيدته التى مطلعها : —

أساوى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى فى طلابكم العذر

البيت الآتى :

ترى أن ما أهلكك لم يك ضررتى وأن يدى مما بخلت به صِفْرُ

لذلك استقر رأى العلماء على اشتقاق هذا اللفظ من هذا المعنى العربى القديم

(٤٨) والذى نجده أيضاً فى الهندية « سونيا » .

وكما أن الشرق هو وطن الإشارة الدالة على (صفر) فهو أيضاً وطن الإشارة الدالة على « القيمة المجهولة » وقد قامت حول هذه العلامة عدة افتراضات ترمى إلى إرجاعها إلى العالم القديم « ومن أنصار هذا رأى ، (بروهيت) الذى كان يرى فى (ت . هنرى) نابغة عبقرية (٤٩) ويعتقد هذا الفريق من العلماء أن علامة (X)

المستعملة في الغرب ما هي إلا الإشارة الرومانية الدالة على العدد ١٠٠٠ أعني $\infty (=CIC)$ والواقع أن افتراض مثل هذا الفرض يدل على شيء كبير من عدم الدقة والعناية التي يعالج بهما رجال الرياضة وخاصة علماء الحساب العدد ، وذلك لأنه كيف تستخدم الإشارة الدالة على ١٠٠٠ في لغة ما للدلالة في نفس الوقت على عدد مجهول أو عدد آخر ؟ وقد هدم هذا الرأي المستشرق (لاجارد) إذ أثبت (٥٠) أن العلامة (X) التي يستخدمها الرياضيون ما هي إلا مختصر الكلمة العربية (شيء) التي استخدمت في القرن الحادي عشر للدلالة على العدد المجهول وكانت هذه الكلمة (شيء) تكتب قديماً في اللغات الأوربية (كسي Xei) كما يتبين لنا ذلك أيضاً من استعمال (بدرو ده الكالا) لها . والتجانس التام بين استخدام الغرب والشرق لهذه الإشارة يؤيده كل مطلع على مؤلفات علماء الرياضيات من العرب .

وانتقال الأعداد العربية إلى الغرب له تاريخه الخاص ، وقد حاول نفر من العلماء إرجاع هذه الأعداد إلى أصل غربي إلا أن التوفيق خان أولئك الباحثين كما خان تلك الفئة التي عرضت للأبجدية . فقد حاول « سديوت » إرجاع كتابة هذه الأعداد العربية إلى الأعداد الرومانية (٥١) فأخفق إذ بنى آراءه على الخيال لا على الحقائق التاريخية الثابتة . نعم إن الأعداد العربية ليست من اختراع العرب بدليل كتابتها من الشمال إلى اليمين على خلاف ما نعرفه عن كتابة الأبجدية في معظم اللغات السامية أعني من اليمين إلى الشمال إلا أن العرب كانوا وسطاء هنا فقط بخلاف الأعداد التركية المعروفة باسم « سياقة » والتي كانت مستخدمة في دفاتر الحساب أيام الانكشارية فهي متصلة بالأعداد العربية إذ أنها مختصرة منها . أما الأعداد المعروفة في أوروبا باسم الأعداد العربية فهي هندية الأصل كما أثبت ذلك العالم « جورج يعقوب كير » عام ١٧٢٥ (٥٢) ويرى العالم « برنسب » (٥٣) أن الإشارات الدالة على الأعداد

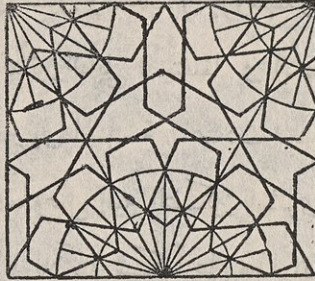
الهندية نشأت من الحروف الأولى للكلمات الدالة على هذه الأعداد وإن تكن هذه المقارنة لطيفة ، لأنها تعيننا على فهم العدد المعروف باسم « سياقة » وتطوره كما تلقى ضوءاً قوياً على الكتابة السامية ، إلا أن صاحب هذه النظرية نسي احتمال وجود تشابه بين الإشارات المختلفة وأن هذا التشابه قد تكون مصدره الصدفة (٥٤) .

والواقع لإصدار رأى صائب في هذا الموضوع يجب جمع الوثائق المؤرخة الواردة بها أعداد إلى بعض (٥٥) ، وقد وجد أن أقدمها هي تلك التي نتبين منها بوضوح انتقال هذه الأعداد الهندية إلى العرب ، وقد نشر هذه الوثيقة العالم « كارابشيك » في دليل معروضات ورق البردي المسمى « بردى أرزهرزوج رينر » ص ٢١٦ — ٢١٧ ، وهذه الوثيقة عبارة عن بردية فيومية جاءت تحت رقم ٧٩٨ من مجموعة (فينا) ، والنص عبارة عن إقرار باستلام قسط قدره درهمان ، وتاريخ البردية يرجع إلى عام ٢٦٠ هـ ٨٧٣ — ٨٧٤ م (٥٦) ، وقد كتب المبلغ بالعدد العربى . وفيما يتصل بالوثيقة الثانية التي تلى هذه في القدم يُرجع إلى « كارابشيك » في المجلد الحادى عشر لعام ١٨٩٧ من مجلة المستشرقين النمساويين ص ١٣ . ومما هو جدير بالملاحظة أن الأعداد المستعملة في غرب العالم الإسلامى أقرب إلى تلك المستعملة في أوربا من هذه التي نجدها في شرقه ، والسبب في ذلك أن القسم الغربى ظل محافظاً زمنياً طويلاً فأخلص للصورة الهندية الأصلية وحافظ عليها وهو يستعملها إلى اليوم ، وهذه الظاهرة تذكرنا بالأبجدية المغربية فهي أقرب إلى الكوفية منها إلى الخط النسخى . وقد عثر أيضاً على مخطوطة شيرازية ترجع إلى القرن العاشر الميلادى يتجلى فيها بوضوح انتقال الأعداد من صورتها الهندية القديمة إلى تلك الصورة التي نجدها مستعملة إلى اليوم في شرق العالم الإسلامى ، وقد نشر العالم « ف . فيبكه » في مصدره السابق المذكور ص ٧٥ العمود الرابع صورة لكتابة تلك الأعداد كما وردت في تلك المخطوطة .

ومن سوء الحظ أن أهل أوربا استعملوا النظام العشري العددي ، وذلك بسبب عدد أصابع اليدين ، وقد كان أفضل لو استعمل الغرب النظام الاثنى عشرى لقابليته العظيمة للتجزئة ، وبسبب الدور الهام الذى يلعبه العدد ثلاثة فى الصيغ الرياضية ، ولو قدر للغرب استعمال هذا النظام العددي لتقدمت الحركة الثقافية تقدماً عظيماً . ومن بين شعوب الأرض لا يوجد شعب يحق له أن يفخر لاستعمال هذا النظام إلا الشعب الأفوسى الذى يقطن شمال الجزء الجنوبي من « بنو » (٥٧) أما الأوريون ، وسبقهم الفرنسيون (منذ عام ١٧٩٩) فيستخدمون هذا النظام الرجعى وقد ضحى الغرب بالنظام الاثنى عشرى واستخدم العشري الناقص وتدل الآثار التى عثر عليها حديثاً على أن تيارات شديدة قامت ضد النظام العشري قبل التاريخ إذ استخدم البابليون النظام المعروف بالنظام الستينى (٥٨) وهذا يتضح لنا من العددين ٦٠ و ١٢ والتعبير الألمانى (شوك) أى ستين وكذلك (جروسهندرت) أى ١٢٠ وهما جراً . ومما يؤسف له حقاً أن التأثير البابلى لم يتغلغل فى الأنظمة الرياضية التى وصلتنا . والآن لننتقل من الجبر إلى الهندسة . اعتادت المدرسة أن تلقن طلابها نظرية فيثاغور ، كما لو أنها أرقى ما وصل إليه التفكير البشرى القديم ، ويقال أيضاً إن فيثاغور قدم مائة ثور قربانا للآلهة شكراً على هذا الإلهام العقلى العظيم ، لكن منذ ربع قرن تقريباً أثبت (برك) فى بحثه عن (إيشتمبا سلبا سوترا) (٥٩) أن نظرية (كنتور) القائلة بوجود أثر للرياضة الاسكندرانية فى الهند لا تقوم على دعائم قوية ، وأثبت (برك) أيضاً أن رأى فيثاغور كان معروفاً فى الهند فى عصر لا يمكن أن يكون أحدث من القرن الثامن ق . م . وأصبح الآن من الثابت أن تعاليم فيثاغور تعتمد على أصول شرقية فنظرية الحلول مثلاً هندية الأصل وليست مصرية حيث توجد عقيدة الـ « كا » أى القرينة . ولم تؤثر تعاليم فلسفية فى القرن التاسع عشر

كما أثرت تعاليم شوبنهاور حول الإرادة وهذه الآراء هندية الأصل وهي المعروفة باسم تعاليم « حول العطش » ، وبينما الإرادة عند شوبنهاور داخلة في عالم ما وراء الطبيعة إذ بها في البوذية قاصرة على العالم المنظور .

بعد أن رأينا أن عنصرين هامين من عناصر ثقافتنا وهما الأبجدية والعدد محتان من منح الشرق ننتقل الآن إلى موضوع آخر نتبين منه مقدار مساهمة الشرق والغرب في الاكتشافات والاختراعات التي أثرت وتوثر في عادات وتقاليد البشر بل في تطور الانسانية عامة خاصة في القرون الأخيرة .



انتاحيا في عصر أصدق تسمية تطلق عليه هي (العالمية) ويشعر أبناء هذا العصر أن رسالتهم الأولى والوحيدة هي تهذيب الجنس البشري والأخذ بيده كأسرة واحدة إلى مدارج التقدم والرقى . أما المدرسة الكلاسيكية فلا ضرورة لها ولا حاجة إليها في عصرنا هذا وذلك لأن العلوم العقلية لن تهبط من السحب بل لا بد لها من أسس واقعية ثابتة عاونت على إيجادها وتدعيمها موجات ثقافية أجنبية وجدت طريقها إلى أوروبا عقب اختراع الآلة المعروفة بالبوصلة والتي عليها تعتمد السفن الملاحية التي تبحر عباب المحيطات . وجرت العادة أن الطلبة يلقنون في المدارس أن مخترع هذه الآلة هو الإيطالي « فلافيو جيوييا » والذي يقال عنه إنه عاش في القرن الرابع عشر الميلادي ، والواقع غير هذا فأوروبا عرفت البوصلة منذ القرن الثاني عشر وسبقت أوروبا الصين التي استخدمتها في عصر لن يكون أحدث من القرن العاشر، وإن كانت مصادر أخرى ترجع معرفة الصينيين للبوصلة إلى عصور أقدم إلا أن هذه المراجع ليست موضع ثقة كذلك الحال مع المصدر المنسوب للعالم المراكشي ابن العذارى والذي ألف في القرن الرابع عشر فإنه يرجع البوصلة إلى القرن التاسع ، وفي الخطاب المفتوح المشهور للعالم « كلبروت » إلى اسكندر فون همبولدت عن اختراع البوصلة (٦٠) نقرأ أخباراً كثيرة هامة عن هذه الآلة ، وأضاف إليها العالم « هرت » الشيء الكثير ، أما أكل مجموعة للنصوص العربية فهي تلك التي جمعها « ايلهرذ فيدمان (٦١) ، فمن الثابت أن البحارة في الشرق استخدموا في أول عهدهم بالملاحة سمكاً مجوفاً مصنوعاً من الحديد المغطس وكانوا يضعون السمكة في طبق يطفو على وجه الماء ويتجه إتجاهاً جنوبياً شمالياً ،

وهناك مصادر فارسية وأخرى عربية ترجع هذه السمكة إلى القرن الثالث عشر، وقبل اختراع البوصلة استخدم البحارة أيضاً الغراب الذي كان يطير ويرشد الملاحين إلى اليابسة، واستخدام الطائر لهذه الغاية له سابقة في قصة الطوفان كما نقرأ عنه أحياناً في المصادر الهندية واليابانية (٦٢) والنورماندية (٦٣)، ويحدثنا التاريخ أيضاً أن الصينيين عرفوا اتجاه البوصلة قبل عصر كولمبوس بزمان طويل ويرجح أن ذلك كان في القرن الحادى عشر، ويجوز أنه كان في القرن الثامن أو قبل ذلك (٦٤)



والمواد المفرقة لم تغير مجرى الحرب فحسب بل عاونت على القيام بالكثير من الأعمال والمشاريع العمرانية العظيمة كشق الطرق بين الجبال وما أشبهها، والفكرة القديمة التي كانت سائدة هي أن اليونان والرومان هم الذين توصلوا إلى اختراع هذا المسحوق وهذه فكرة خاطئة أدت إلى الوقوع في كثير من الأخطاء، والواقع أن سائر المواد الملتهبة التي استخدمت في الحروب قديماً ومن بينها النار الاغريقية (٦٥) لا علاقة لها البتة بالمواد المفرقة وما هي إلا هذه المواد المتصلة بالنفط. وفي جيوش الخلفاء العباسيين نقرأ كثيراً عن فرق النفاطين التي كانت تقوم بأدوار هامة في الحروب خاصة عند الحصار، إذ كانت تسهل مهمة الاستيلاء على المدن بعد حرق بيوتها الخشبية هكذا حدث عند الاستيلاء على تفليس عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ - ٨٥٣ م فصاحب (آثار البلاد وأخبار العباد) وابن الأثير واليعقوبي وغيرهم يذكرون لنا كثيراً من أعمال النفط والنفاطين في الفتوحات الإسلامية. ومن قبل سقوط تفليس سقطت أيضاً هرقة وحصنها عام ١٩٠ هـ أيام هرون الرشيد، وقد خلد أعمال فرقة النفاطين الإسلامية الشاعر المكي بقوله :

هوت هرقة لما أن رأت عجباً جوائماً ترتعى بالنفط والنار
 كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار
 والشاعر الفارسي سعدى ذكر الشيء الكثير عن النفاطين وأعمالهم في مؤلفاته الخالدة.

أما سبب الإضطراب الذي وقع فيه كثيرون من العلماء حول هذه المواد المفرقة

ومخترعها فهذه الوثيقة التي تشتمل على مسحوق ملح البارود والكبريت والفحم والتي يقال إن صاحبها هو (مرقس جريكوس) الذي يظن أنه عاش في القرن التاسع الميلادي، لكن أثبت العلماء أن (مرقس) هذا كان من أبناء القرن الثالث عشر وأنه اهتدى إلى هذا المركب حوالي عام ١٢٥٠ م وتحت التأثير العربي (٦٦) .

ومن الأخطاء الأخرى التي ارتكبت قديماً أيضاً القول إن الراهب (برتولد شفرز) هو صاحب البوصلة مثله مثل (فلافيو جيوييا) والواقع أن حتى تاريخية هاتين الشخصيتين غير ثابتة إلى جانب أن البوصلة كانت معروفة للعالم قبل العصر الذي ينسب إليه الإثنان . والشئ الجدير بالملاحظة هنا أن الذين يحاولون الترويج لمثل هذه الآراء الخاطئة لا يتجنبون على الحقيقة فحسب بل على التاريخ أيضاً ، فهم يصاون مثلاً بين اختراع المواد المفرقة وبين معجزات القديسة بربرة ، فهم يروون أن القديسة اخترعت هذا المسحوق عند هجوم الفندال على إفريقية واستخدمته هي لأول مرة لذلك أصبحت هذه القديسة شعاراً لفرق المدفعية عند كثير من الأمم حتى يومنا هذا . وقد ظلت فكرة اختراع البارود بعيدة عن عناية العلم والعلماء حتى جاء عام ١٨٩٥ وأصدر (روموكي) كتابه المشهور عن المواد المفرقة وتاريخها (٦٧) ، وقد أُرِدِف هذا الكتاب العالم (ادموند فون ليبيان) بمحاضرة قيمة جداً عام ١٨٩٨ (٦٨) وهو نفس العالم الذي وضع كتابا هاما في تاريخ الكيمياء . وقد توصل العالمان الإخصائيان إلى أن (ثلج الصين) (الآن نترات البوتاسيوم أو ملح البارود) أول ما عرف كان في الصين وفي زمن لا يمكن أن يكون قبل منتصف القرن الثاني عشر ، وقد وصلتنا مصادر تحدثنا عن الدفاع المجيد الذي أبلته المدينة الصينية (بيان كنج) (الآن كاي فننج) عاصمة إقليم (هونان) بأسفل (هونج هو) ضد هجوم المغول بقيادة (أوجوتاي) عام ١٢٣٢ م (٦٩) فهنا نجد للمرة الأولى استخدام الصينيين للمواد

المفرقة التي هي عبارة عن أسهم نارية ومواد مهشمة محطمة كانوا يرمون بها العدو إذا ما حوصر في زاوية لا يمكنه الإفلات منها. ونستطيع أن نتصور هذا النوع من الأسلحة من الرسوم الواردة في الكتب الصينية الخاصة بالنار . وفي القرن الثالث عشر قرأ أخباراً تفيد أن العرب عرفوا نترات البوتاسيوم عن الصين وأطلقوا عليها اسم (ثلج الصين) وفي كتاب (حسن الرماح) الذي ألف فيما بين عامي ١٢٧٥ و ١٢٩٥ عن النار والمحفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس (٧٠) قرأ عن ثلج الصين كعنصر أساسي في صناعة الأسلحة النارية كما يصف لنا (حسن الرماح) هذا للمرة الأولى الآلة المعروفة الآن باسم طور بيد فيقول عنها (بيضة تخرج وتتحرق) وأردف هذا التعريف بصورة نشرها (روموكي) في كتابه ص ٧١ . كذلك لفظ (مسكيت) فقد أثبت (ده جويه) أنه مشتق من الكلمة العربية (مستق) (٧١) ، وفي أوروبا نجد أقدم رسم لمثل هذا النوع من السلاح هو ذلك الوارد في مخطوطة بأ كسفورد ترجع إلى عام ١٣٢٦ (٧٢) وهي للمؤلف (ولتر ده مليمير)



وأهم من البوصلة والبارود الطباعة ، وقد كشفت لنا الآثار المصرية أخيراً شيئاً كثيراً عنها وإذا كانت طباعة الكتب من أهم بل أهم حدث ثقافى عرفته الإنسانية فإن الدين الذى تشعر به هذه الإنسانية تجاه هذا الاختراع يتضائل كثيراً جداً إذا علمنا أن فن الطباعة ما كان ببالغ هذا الشأن البعيد فى حياتنا الثقافية والاجتماعية لولا وجود عاملين هامين أولهما مادة الكتابة أغنى الورق وثانيهما الأبجدية الصوتية ، هذه الأبجدية التى تتكون تقريباً من أربع وعشرين إشارة نعبر بها عن كل ثروتنا اللغوية . فهذان العاملان الأساسيان اللذان مكنا فن الطباعة من النجاح والتطور ومجارة حياتنا الثقافية ، من نتاج الشرق والعقلية الشرقية كما سنتبين ذلك فيما يلى : فكرة الطباعة ليست فكرة عبقرية جديدة ، وذلك لأن المتقدمين فطنوا إلى هذه الفكرة واستخدموها فى الخواتيم . وصك النقود فالبابليون كانوا ، كما نعلم يكتبون على الطين ، وكانوا يستخدمون الطين استخدام رجال الطباعة اليوم الحروف وما إليها لطبع الكتب فالبابلي كان يستطيع طباعة عدة نماذج لنص مكتوب على الطين ، وقد وصلتنا فعلاً أمثلة كثيرة من هذه المطبوعات (٧٣) المختلفة النصوص ، والتى كانت تطبع ببسط طبقة من الطين على النص الأسمى فتطبع ، لكن الطين كدادة للكتابة لا يعاون كثيراً على نشر الطباعة أو الأخذ بيدها . لذلك مات هذا الفن البابلي وظهر فى شرق آسيا اختراع جديد أثر فى الطباعة تأثيراً كبيراً ، وهذا الاختراع عبارة عن الاهتمام إلى عمل مادة للكتابة جديدة أصلح وأحسن مما كان متداولاً فى ذلك الوقت . وحتى عام ١٨٧٥ نجد من العلماء أمثال (فاتنباخ) الذى يقول إن العصر الذى اخترع

فيه الورق ما زال إلى اليوم غامضاً ، وكم هي دهشتنا اليوم عندما نقرأ مثل هذه الجملة خاصة بعد أن رفع الحجاب عن الورق وتاريخه وأصبحنا اليوم في حالة تمكننا من الإحاطة به أكثر من أى اختراع قديم آخر .

أما الرق والبردى فيحتاجان في تحضيرهما إلى مجهود عظيم يتطلب نفقات كثيرة بينما في وسط آسيا نجد دوراً للكتب المدونة على قشور الشجر ، وعثر في جنوب الهند على مخطوطات مكتوبة على سعف النخيل ، وفي الصين على أعواد الفاب كما نصت على ذلك المصادر المتأخرة (٧٤) إذ استخدم الصينيون في بادئ الأمر الخربشة ومن ثم استعاضوا عنها فيما بعد بالألوان . لكن جميع تلك الوسائل لا تعاون بتاتاً على قيام الطباعة ويرجح المؤلف أن اختراع الصيني (مونج تين) . المتوفى عام ٢٠٩ ق . م للفرشاة المسماة (بت) والمصنوعة من شعر الفيران والتي يستخدمها الصيني حتى اليوم عوضاً عن القلم يتصل اتصالاً وثيقاً بالاهتمام إلى مادة للكتابة أرق وأطوع من المواد الأخرى التي كانت شائعة حتى ذلك العصر . وقد كان ذلك فعلاً فالمصادر الصينية تحدثنا أن عالماً اهتمدى قبل الميلاد إلى صناعة مادة من بقايا الأقمشة الحريرية لكن غلاء هذا القماش جعل المادة المصنوعة منه أقل تداولاً ، لذلك فكر آخرون في الاستعاضة عن الحرير بمواد أخرى أقل ثمناً . وحوالى عام ١٠٠ م استطاع (تساي لن) مدير المصنع الحريرى القيصرى عمل عجينة جديدة لصناعة الورق مكونة من قشور الشجر والقنب والخرق البالية وشبك الصيادين ، وقد يصنع الورق أيضاً من مختلف ألياف النباتات بعد تنظيفها وتنقيتها من المواد الغريبة عنها ، ومن ثم توضع في الماء مدة حتى يسهل دقها وجعلها طبقات رقيقة تجفف وتستخدم فيما بعد للكتابة . وهذه الطريقة القديمة لصناعة الورق هي بعينها الطريقة المتبعة عند تحضير اللباد مع مراعاة أن الأخير يستخلص من مواد حيوانية بينما الورق من مواد نباتية ولما كان الوطن

الأصلى لصناعة اللباد هو هذا الصقع الأسبوى الذى تقطنه العناصر البدوية التركية الشرقية رأى جماعة من العلماء أن صناعة الورق فى أول عهدها تأثرت بصناعة اللباد ولا سيما فالورق كان يحضر أول الأمر من عناصر حيوانية وهى بقايا الحرير . ويقول العالم « ريتشارد أندريه » (٧٥) إن الورق اخترع أكثر من مرة فى أمريكا كما يظهر ذلك من المخطوطات المكسيكية المصورة والتي أعدت فى (مجاوى) كذلك ال (تابا) البولينية . أما أوربا فتدين للعبرى الصينى (تساي لن) مخترع هذا الورق الذى أخذ ينتشر ويتطور حتى بلغ هذه المرحلة الحالية . ويستحق هذا المخترع الصينى من كل أوربى أن يسجل صورته على كل كتاب تخرجه المطابع لأن هذا العالم أجدر من كثيرين .

وأهم مصدر يحدثنا عن هذا المخترع العظيم تاريخ حياته الوارد فى أخبار ال (هان) المتأخرين الذين عاشوا فى الفترة الواقعة بين عامى ٢٥ — ٢٢٠م وقد قدر القوم وقتذاك قيمة هذا الاختراع فبجلوا صاحبه حياً وميتاً ، فى عام ١٠٥م نجد مجلس الوزراء يصدر أمره بالشكر والثناء على (تساي لن) ، كما تقرر جعل بيت المخترع والحجر الذى استخدمه لدق الورق وطرقه متحفاً عاماً للشعب .

أديبان عربى من أحدهما عاش فى القرن الحادى عشر وهو الثعالبى يذكر فى الصحيفة السادسة والعشرين بعد المائة من كتابه لطائف المعارف (طبع أوربا) : « ومن خصائص سمرقند الكواغيد التى عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أحسن وأنعم وأرق وأوفق ولا تكون إلا بها وبالصين . ذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند فى سبى سباهم زياد بن صالح من اتخذ الكواغيد بها ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها فى الآفاق » : وثانيهما أحد أبناء القرن الثالث عشر

وهو العالم الرحالة القزويني يسرد في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) في سياق حديثه عن سمرقند أيضاً عبارات تكاد تتفق تماماً مع تلك التي ذكرها الثعالبي ، فالمؤلفان العربيان يذكران معتمدين على بعض المصادر القديمة كيف انتقلت هذه الصناعة من الصين إلى سمرقند، وكيف أن صناعة الورق نمت وازدهرت حتى أصبحت تجارة رائجة لأهالي تلك المدينة . وتجمع المصادر العربية أيضاً ، وتوافقها الوثائق الصينية ، على أن زيادا انتصر في يوليو عام ٧٥١ م عند نهر طراز على أمراء الأتراك الذين كانوا في عدااء دائم ، كما هزم زياد أيضاً الجنود الصينيين الذين أرسلهم قيصرهم تحت أمرة قائد كوري لمساعدة الأتراك وأخذ عدداً كبيراً منهم أسرى حرب وأرسلهم إلى سمرقند . ومن حسن الحظ أن الحفائر التي قام بها جماعة من العلماء في أوائل القرن العشرين في تركستان الصينية انتهت إلى العثور على قطع من الورق وضعت تحت تصرف جماعة من كبار العلماء الألمان لفحصها وكتابة التقارير عنها . وقد وفقوا فعلاً واهتدوا إلى المواد الأولية التي صنع منها الورق . وفي عام ١٩٠٠ عثر (م. ١. شتين) في صحراء (تكلا مكان) على وثيقتين صينيتين من الورق ترجعان إلى عامي ٧٨٢ و٧٨٧ م وفحصهما (فيزنر) بالمجهر ووضع عنهما تقريراً شاملاً (٧٧) . وأقدم قطعة ورق يعرفها العالم هي تلك المحفوظة بمتحف (معرفة الشعوب) (فلكور كونده) ببرلين وتاريخها يرجع إلى عام ٣٩٩ م وفحصها (ر. كوبرت) بجامعة (روستوك) (٧٨) وتبين له أن بها عشباً صينياً يطلق عليه العلماء اسم (بوميريا نيفيا) وبعض أوراق من شجر التوت وبعض الخرق .

ويحدثنا ابن خلدون أن البرمكي الفضل بن يحيى انتهز فرصة وجوده حاكماً على خراسان وتعرف إلى ورق سمرقند وأدخل صناعته إلى بغداد أيام خلافة هرون الرشيد وكان ذلك في الفترة الواقعة بين عامي ٧٩٤ — ٧٩٥ م : وبهذا الصنيع

أدى الفضل أكبر خدمة للإنسانية وذلك لأنه من بغداد أخذت تنتشر مصانع الورق في العالم الإسلامي حتى بلغت إسبانيا . وفي متحف (ريزنر) نجد خطابين عربيين تحت رقي ٩١٧ و ٩١٨ على ورق مصنوع من الخرق البالية ، ويرجع تاريخهما إلى حوالي عام ٨٠٠ م وهذا الورق من صنع بغداد وقد أنتجته مصانع العاصمة العباسية بعد قيام هذه الصناعة بها بسنوات قليلة . وفي الفيوم عثر العلماء على وثائق يتضح منها كيف أخذت صناعة الورق تطارد البردى . ولم يكد ينتصف القرن العاشر إلا وكان البردى في طريقه إلى الاختفاء . وفي أوائل القرن الحادي عشر ظهر في أسواق القسطنطينية آخر من الورق ذكره « بلينيوس » فقال ما ملخصه إن ورقاً لحفظ البضائع أخذ يحل محل ورق البردى (٧٩) . وقد يكون هذا الورق الذي يشير إليه « بلينيوس » هو بعينه ذلك النوع الذي استخدم في تدوين الوثائق المصرية كما يتبين ذلك من الوثائق التي عثر عليها . وقد أدت كثرة العثور على مخطوطات عربية ، فيما بعد ، إلى معرفة المادة التي كان يصنع منها الورق في تلك العصور ، فقد كان يصنع أحياناً من القطن ولأمر ما ساد الاعتقاد قديماً أن هذا النوع من الورق أقدم من ذلك النوع الذي كان يصنع من الكتان إلا أن أبحاث (فيزنر) المعتمدة على المجهر والتي قام بها في فينا (٨٠) أثبتت أن صناعة الورق في تلك العصور لم تعرف القطن بتاتاً وأيده في رأيه هذا عالم من علماء القرن العاشر وهو ابن أبي يعقوب النديم ، فقد ذكر في الصحيفة الحادية والعشرين من الفهرست : فأما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ويقال إنه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل إنه قديم العمل ، وقيل إنه حديث ، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني : وتوصل (فيزنر) أيضاً إلى إثبات أن عملية لصق الورق بالمواد النشوية المنتشرة حتى يومنا هذا في أوروبا كانت معروفة أيضاً عند الصينيين والعرب .

وفي القرن الثاني عشر انتقلت صناعة الورق عن العرب إلى الرومانيين ،
وفي الرابع عشر إلى ألمانيا ولكي نبين مدى الأثر البعيد الذي تركه هذا الاختراع
وصناعته يكفي هنا أن نشير إلى مقدار المفردات التي دخلت اللغات الأوروبية والتي
تتصل بالورق وصناعته اتصالاً كبيراً . فالعبارات الدالة على المقاييس الورقية مثل
(بوخ) و (ريز) عربية الأصل فلفظ (ريز) هو العربي (رزمه) بمعنى ما شد
في ثوب واحد ومن ثم انتقلت إلى الأسبانية حيث نجد (رزمه) وإلى الإيطالية
(رزمه) والفرنسية (رام) والإنجليزية (ريم) وللتعبير عن (بوخ باير) يقول
الفرنسي (مان ده باير) والروسي (ديست بوماجي) ولفظ (دست) ما هو إلا اللفظ
الفارسي الدال على (يد) وهو يستخدم في العربية أيضاً ويطلق على كم من شيء
مسطح مثل الخبز (٨١) . أما فيما يتعلق بمادة الورق فقد استعارت أوروبا اللفظة
المصرية القديمة التي استخدمت منذ آلاف السنين للدلالة على المادة المستخدمة للكتابة
للتعبير عن المادة الجديدة وذلك لأن التسمية القديمة تحمل عنصر النباتية الذي كان
يستخدم للكتابة ، وهو عنصر مشترك بين القديم والحديث كاستخدام الألمان لفظ
(فيدر) أي (ريشة) للدلالة على آلة الكتابة الحديثة المصنوعة من الصلب .

واستتبع اختراع الورق في شرق آسيا ظهور أشياء كثيرة إلى الوجود لم تعرفها
أوروبا إلا في العصور المتأخرة في وقت احياء العلوم وعصر الروكوكو ، ففي ذلك الوقت
فقط فكرت أوروبا في تغطية الحيطان بالورق ، كما استخدمته في صناعة المصابيح وعمل
اللعب الطائرة (٨٢) وكذلك في النقود وما إليها خاصة في الطباعة .

وكما أن الوطن الأصلي للورق هو الشرق كذلك الطباعة إلا أنه مما يؤسف
له أننا لا نستطيع تتبع تاريخ فن الطباعة في الصين ، وهذا بسبب عدم اهتمام كثير من
العلماء الأوربيين بالدراسات الصينية رغماً من أن كل شخص ثالث في العالم صيني

وأن لهذا الشعب الصينى أدبه الرفيع العريق كما أنه سبق أوروبا فى كثير من ضروب
الفنون . ومستقبله الاقتصادى يبشر بتطور عظيم ، ولعل السر فى قلة عدد المشتغلين
بالعلوم الصينية انصراف الجامعات الألمانية عن هذا النوع من الدراسات فى الوقت
الذى فيه تغزى بعض المدارس الطلاب بالحروب السمنية والسبينية والمسينية كما لو أن
هذه الحروب وتلك الدراسات هى العمود الفقرى للأحداث التاريخية العالمية . ومن
الجدير بالذكر هنا أن جماعات (الداياك) ببورنيو (٨٣) استعاضت عن الملابس
بالوشم وذلك بحفر النماذج التى يراد وشمها على الخشب وصب لون من الألوان عليها ،
ومن ثم يطبع الجسد بالرسم المطلوب ، وتبدأ بعد ذلك عملية الوشم . ومما يؤسف له حقاً
أن العلماء لا يستطيعون تأريخ هذا النوع من الطباعة ، وقد عثر على بعض الأقمشة
المصرية المطبوعة التى ترجع إلى القرن السادس الميلادى ، ولعل أقدمها هى تلك التى
وجدت فى قبر القديس « قيصريوس » ويرجح أنها مصرية الأصل (٨٤) وهى
محفوظة فى المتحف الجرماني بنورنبرج (٨٥) ، ويملك هذا المتحف الجرماني أيضاً
مجموعة أخرى من الأقمشة المطبوعة التى ترجع إلى القرنين السادس والسابع ، وقد
عثر عليها الدكتور (فرر) فى حفائره بأخميم بمصر العليا كما عثر هناك أيضاً على
أتمودجين لطباعة القماش ، وفى مؤلف الدكتور (فرر) عن فن طباعة القماش الذى
نشره بمدينة ستراسبورج — الزاس عام ١٨٩٨ تجدد فى اللوحة الثالثة رقم ١ صورة
قد تمثل بدء قيام هذا النوع من الطباعة فى أوروبا ، وهذه القطعة ترجع كما يرجع
المؤلف إلى العصر الكاروليني . وفى القرون التالية أخذت أوروبا خاصة ألمانيا توجه
عناية كبرى إلى الطباعة خاصة هذا النوع المتصل بالأقمشة (٨٦) . أما الانتقال من
طباعة الأقمشة إلى طباعة الورق فيمثله هذا التطور الفنى الذى نجده عند سكان
بولينيزيا فهؤلاء يجمعون قشر شجر التوت ويطرقونه حتى يضير شبيهاً بالورق ، ومن



نسيج من الحرير . بغداد . أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادى عشر



نخل من الحرير من نسيج وليم موريس سنة ١٨٨٤

ثم يطبعونه ويتخذونه لباساً ، ومما يؤسف له أيضاً أن العلماء لا يستطيعون تتبع تطور هذا الفن وتاريخه .

أما طباعة الورق عند الصينيين فكانت نتيجة طبيعية لاختراعهم له فالتاريخ يحدّثنا أن العادة جرت عام ١٧٥م أن تعرض مؤلفات كُتّاب الصين خارج بناء الجامعة ، وكانت تؤخذ منها نماذج عند الحاجة . وفي نهاية القرن السادس الميلادي ظهرت في الصين لوحات خشبية للطباعة وذلك لأن مؤسس أسرة (سوي) أمر بحفر بقايا مؤلفات كبار علماء الصين على الخشب ، ومن ثم أخذ ينتشر هذا النوع من الطباعة في الصين وخارجها . وفيما يتصل ببدء طباعة الكتب في اليابان فقد عرض له العالم ساتو (٨٧) ومن هذا العرض يخرج جورج يعقوب بأن القيصرية (سهو تو كو) أهدت عام ٧٦٤ المعابد البوذية والأديرة ألف ألف تمثال خشبي صغير يشتمل كل واحد منها على فصل من الكتاب البوذي (فيما لا نربها سا سوترا) ولم يكد يأتي عام ٧٧٠م إلا وكانت هذه الهدايا قد وصلت إلى أما كنها المطبوعة . وقد عثر على عدد من هذه التماثيل في دير (هوريو) الموجود في (ياماثو) . وبداخل كل واحد منها نص سنسكريتي بخط صيني مكتوب على شريط طويل . أما تقليد الكتابة فيوجد فقط في المخطوطات اليابانية (٨٨) وقد أرادت الحكومة اليابانية عرض أصول أقدم كتب مطبوعة في العالم بليبرزج إلا أن حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ أودت بها . وتوجد أيضاً بعض لوحات طباعة صينية ترجع إلى عام ٨١٦ ، وهي من المعدن (٨٩) ويذكر عالم الصينيات (هرت) أنه عرض عليه كتاب للبيع يرجع تاريخه إلى عام ١٠٥٤ وهو مطبوع على لوح ويشتمل على شعر شاعر من أسرة (سونج) وبه صورة له وألف محفورة في الخشب (٩٠) ومن حسن الحظ أنه عثر في السنوات الأخيرة على كثير من المطبوعات الأسيوية الشرقية .

ويذكر الجغرافي (ريتر) أن طباعة الكتب في أديرة قبائل اللاما قديمة جداً (٩١) إلا أنه من الصعب تأريخ هذا الفن في بلاد التبت ، وذلك لأن العلماء يجهلون أسماء أولئك الطباعين أو الذين شملوهم بعظفهم وعنايتهم ويذكر جورج يعقوب معتمداً على (ب. لوفر) في خطابه بتاريخ ١٨ يولييه ١٩٠٢ والذي أرسله إليه من بيكين أن تاريخ أقدم كتاب مطبوع في التبت هو عام ١٠٦٩ وهذا الكتاب هو مخطوطة لأسرة (لياوختان) محفوظة بمعبد (تاشيشو) (الواقع على بعد ٢٣ ميلاً من شمال غربي بيكين) وقد قيل أن رجلاً يدعى (تنج تسنج كوري) تبرع بكل ثروته لطبع ٥٧٩ مجلداً من كتب التبت الدينية وإهدائها إلى المعبد السابق لكن مما يؤسف له أنه لم يذكر شيء عن اسم محتويات هذه الكتب وإن كان يكاد يرجح أن الطباعة عرفت في التبت في القرن التاسع الميلادي . كما يفهم من الكتاب الذي ترجمه (كوت) عن تاريخ البوذية في بلاد المغول (٩٢) أن الطبعة الأولى لكتابي التبت العظيمين وهما (كندشور وتندشور) تمت أيام الملك المغولي (بويانتو خان) الذي حكم من ١٣١١ — ١٣١٩ وفي هذين المؤلفين العظيمين نقرأ خبراً عن رجل متدين هاجر إلى بلاد المغول وصار قسيساً للقرايين ، ومن ثم أرسل المواد اللازمة لطبع الكتابين ، كما أرسل أيضاً مادة صينية سوداء ، وما فعل ذلك إلا إرضاء للاما . ومن بين هذه المواد التي أرسلها كانت لوحات للطباعة استخدمت لطبع الكتابين وعمل نماذج منهما . وقد كشفت الحفائر الألمانية في تركستان عن لوحات خشبية أوجرية للطباعة يرجح أنها ترجع إلى القرنين التاسع أو العاشر وقد نشر (ن. ف. ك. مللر) لوحاً في (أوجوريكا ج ٢) (٩٣) وفي عام ١٣٣٠ م طبعت ألف نسخة أوجرية من كتاب سوترا عن الدب الأكبر (٩٤) . ومما أثار دهشة العالم المتمددين أنه عثر في القيوم على ثلاثين لوح طباعة عربي يرجع تاريخ الكثير من ألواحها إلى القرن العاشر الميلادي

بينما يرجح أن اثنين من بينها قد يرجعان إلى التاسع (٩٥) وذكر (كارابشيك) في الدليل ص ٢٤٧ ما ترجمته : وفيما يتصل بالحجم وطبيعة الطباعة فيكاد يتفق تماماً مع الحجم الصيني والطريقة الصينية : إلا أنه يذهب بعيداً ويقول : إن مجموعتنا تمتاز بأنها تشتمل على أقدم المطبوعات التي عرفها العالم حتى ذلك الوقت : وقد أخطأ (كارابشيك) عندما ذكر هذه الجملة إذ توجد مطبوعات يابانية أقدم من هذه التي أشار إليها . أما الوثائق العربية المطبوعة والمحفوطة في فينا فتظهر فيها أحياناً حروف سوداء على قاعدة بيضاء أو بيضاء على قاعدة سوداء . أما الوثيقة المحفوظة تحت رقم ٩٢٩ فإنها مطبوعة بلون أحمر . وإلى جانب اللوحات العربية وجدت أيضاً لوحة قبطية محفوظة تحت رقم ٩٤١ . ومن ناحية المحتويات فلا قيمة لهذه الوثائق كما أن بعض آي القرآن الكريم التي نشر (كارابشيك) صورتها في الدليل ص ٢٤٨ لا تدل على مجهود كبير للمسلمين في هذه الناحية .

وموقف العلماء من الطباعة يختلف عنه مع الورق ، إذ بينما كشف العلم لنا تاريخ الورق وتطوره ترك العلماء في حيرة أحياناً أمام الطباعة وتاريخ وجودها ، لكن ليس معنى هذا أن فكرة الطباعة أمحت أو كادت في بعض العصور التي يكاد يقال عنها إنها أهملت هذا الفن وتركته بدليل ما وصلنا من معلومات عن الشرق في مختلف عصوره والكتب العربية غنية بمثل هذه الإشارات الدالة على وجود الطباعة والاهتمام بها فالعالم (كارابشيك) معتمداً على كتاب الروضتين لأبي شامة يذكر أن نور الدين اضطر عام ١١٤٧ م بسبب الحرب الصليبية الثانية وبسبب الضيق الذي حل بالبلاد أن يصدر في شمال سوريا نقوداً من الورق من فئة الدينار ، وما كان مثل هذا المشروع يتحقق لو لم توجد في ذلك العصر لوحات للطباعة (٩٦) . وفي عام ١٢٩٣ م أسست في تبريز مطابع لطباعة نقود من الورق على نمط المطابع الصينية (٩٧) وهكذا

يحدثنا المؤرخ الفارسي رشيد الدين عن فن الطباعة الصيني الأصل (٩٨)، ومن وصفه لهذا الفن وحديثه عنه يتضح لنا أن الصين كانت تطبع من الكتاب أو الوثيقة عدداً خاصاً ثم تحتفظ باللوحة أو اللوحات للرجوع إليها عند الحاجة ، وقد جرت العادة أن الشخص الذي كان يريد نسخة من كتاب ما كان يتوجه إلى دار الكتب ويدفع الثمن المطلوب وتطبع له النسخة المطلوبة . ويميل جماعة من العلماء إلى الاعتقاد بأن طريقة الطباعة المعروفة الآن باسم النقل على الورق كانت خطوة سابقة للطباعة المعروفة لنا الآن كما أنه يجب ألا ننسى أن طريقة الطباعة الحديثة وتسهيل اقتناء الكتب أجدي وأنفع لنشر الثقافة من الطريقة الصينية القديمة .

والورق الذي كان يصدر إلى أوروبا في العصور الوسطى كان غالباً ، وذلك بسبب المواصلات ووعورتها واستمر الحال كذلك حتى أخذت أوروبا تعنى بصناعته وإنتاجه ، كما اهتمت به ألمانيا في القرن الرابع عشر اهتماماً عظيماً وساهمت في سبيل نشر صناعته وتقدمها ، وقد مهدت تلك النهضة إلى قيام الطباعة في أوروبا كما حدث عند الصينيين والعرب من قبل (٩٩) .

ومن حسن الحظ أن العلماء عثروا على لوحات خشبية صينية محفورة ترجع إلى عام ١٣٣١ وقد نشرها « أوسكار منستربرج » (١٠٠) . وهذه اللوحات الصينية أقدم بما يقرب من قرن من تلك التي عثر عليها في أوروبا ، إذ يرجع تاريخ أقدم لوحة منها إلى عام ١٤٢٣ كما يعتقد ، « كريستلر » (١٠١) . أما الرأي القائل بأن ألمانيا كان مقما ببولونيا عام ١٣٩٥ وكان خبيراً بصناعة الحفر على الخشب فما زال مفتقراً إلى إثبات .

أما الفكرة التي نقلت الطباعة من استخدام الألواح إلى الاستعانة بالحروف المتحركة التي تتكون من ٢٤ حرفاً وهي الحروف التي تتكون منها الأبجدية فليست

فكرة في حاجة إلى عبقرية أو ذكاء خارق بخلاف فكرة الطباعة ذاتها كما أنه ليس من السهل البت في النزاع القائم حول الطباعة على الألواح والطباعة على الحروف المتحركة وأى النوعين أسبق (١٠٢) أو اعتبار النماذج « الشابلونات » التي تستخدم معها الفرشاة أو سائر الوسائل الأخرى التي استخدمها العالم القديم خطوات معهدة لاختراع فن الطباعة كما نعرفه الآن (١٠٣) وقد تغضب هذه الحقيقة كثيرين ممن يتشددون بألمانيا والدور الهام الذي قامت به في الطباعة ، وقد ذكر « هرمن ديلز » أن التقدم والتدرج إلى الحروف المتحركة كان في استطاعة كل عين قديمة إدراك قبح طباعة الحروف (١٠٤) والواقع أن العالم القديم « اليونان والرومان » كان متأخراً جداً في فن الكتب وكان الفرق بينه وبين العصور الوسطى سواء في الشرق أو الغرب بعيداً جداً فنحن نعلم أن رجل العصور الوسطى سما بتنظيم الأشكال وصورة الكتابة سموماً عظيماً بينما الخط اليوناني القديم احتفظ بصورته القبيحة التي لا تقارن بالخطين الصيني أو العربي ، ويرى جورج يعقوب أنه كان من السهل لو صبت الحروف المتحركة من نماذج تختار من أحسن وأجمل مخطوطات العصور الوسطى حيث العناية بالخط كانت عظيمة ، وبذلك نستطيع إدخال الفن والجمال في الطباعة ولا يجد أمثال « ديلز » حجة عندما يحاول الدفاع عن اليونانيين ويقول إن الذي منعهم من اختراع الطباعة هو جهلهم للجمال الذي يتجلى في كتابة المخطوطات ، وتجرد منه المطبوعات لكن ألم يكن الأجدر باليونانيين أن يفكروا فيما فكر فيه جورج يعقوب ؟ لكن وقد عجز التفكير اليوناني عن الاهتمام إلى شيء من هذا فهو لا يستحق من العالم التمجيد والتخليد ، كما سجل على نفسه شيئاً كثيراً من التقصير نحو الثقافة الإنسانية ، وكان من أثر المبالغة في تقدير التراث اليوناني خاصة في عصر النهضة أن اتجه النشاط العقلي إلى تقليد الآثار الفنية الميئة تقليداً قسرياً أو كاد على كل محاولة للاهتمام بالآثار

الفنية الحية ، فقد نظر الفنان إلى الأعمدة اليونانية القائمة كمثل أعلى للجمال وهذه النظرة أثرها السيء في حياة الفن وتطوره . ومهما يكن الأمر فالشرطان الأساسيان لقيام الطباعة الحالية هما الأبجدية الصوتية والورق وكلاهما ليسا من عمل العقلية اليونانية وكل فرد يجد من وقته ما يسمح له بدراسة ما وصل إليه « جوتنبرج » بعد كفاح عظيم من الناحيتين الصناعية والفنية يدرك تمام الإدراك مقدار الجهود الألمانية الجبار الذي بذل في سبيل ربط اسم ألمانيا باسم أكبر حادث حدث في سبيل الثقافة ونشرها . وهذا الفرد بعينه الذي يهتدى إلى مثل هذه النتيجة يؤلم أمثال « بون هازن » الذين لا يحلو لهم إلا إرجاع كل شيء إلى اليونان ونسبة كل ثمرة من ثمار العلوم الحالية إلى العقلية اليونانية . لكن فات هؤلاء أننا إذا نسبنا إلى عطاء أشياء ليست لهم وكللنا رؤوسهم بأكاليل غار مزيفة أسأنا إليهم ولنلنا من كرامتهم فالألماني (جوتنبرج) مثلاً قد سبقه كثيرون مثل الهولندي (كوستر) وطبع بحروف متحركة (١٠٥) ولو أنه استخدم نماذج رملية لا تصلح للطبع إلا مرة واحدة ، ونفس هذه الطريقة هي التي استخدمها (جوتنبرج) في أول الأمر ، ومن ثم تغلب على النقص الموجود بها ووصل بها إلى ما وصل إليه .

ومن الخطأ أن نعتبر هذا النوع من الكتب الذي حاولت أوربا إنتاجه في أول عهدها بهذا النوع من الفنون خطوة أولى في طباعة الكتب ، وذلك لأن العالم (زدler) مثلاً يعتقد أن فن صناعة تلك الكتب متأخر جداً عن الطباعة بالحروف المتحركة ، إذ أن عمل تلك الكتب كان يتم عن طريق ألواح للطباعة عبارة عن ورق لعب وقطع خشبية محفورة ، وكان النص يكتب باليد . كذلك من الخطوات المهمة لظهور الحروف المتحركة في الطباعة والتي تعتبر بحق سابقة لفن (جوتنبرج) (١٠٦) استخدام الحروف المفردة في اختصار الأسماء ولعل أول من استخدمها هو الدومينيكي

(كونراد فورستر) من سكان نورنبرج فقد استخدم طريقته هذه عند تجليد الكتب في الفترة الواقعة بين ١٤٣٧ - ١٤٥٧ وقد وصلتنا من آثاره بعض النماذج المحفوظة في ليبزج ونورنبرج وفيروز برج (١٠٧). وتذكر المصادر الصينية أن أول طابع بالحروف المتحركة التي كانت تصنع من الفخار هو الحداد (بي شنج) (Pi Schog) وكان ذلك فيما بين عامي ١٠٤١ - ١٠٤٩ م (١٠٨) وكان العالم الغربي يجهل حتى زمن قريب كيف انتقل هذا الفن من الشرق إلى الغرب إلا أنه عثر أخيراً في شرق آسيا على كتب مطبوعة بواسطة الحروف المتحركة وهذه الكتب أقدم بكثير من العصر الذي عاش فيه (جوتنبرج) إذ أن أقدم كتاب من تلك المجموعة التي عثر عليها يرجع تاريخه حسب تقدير العالم (ساتو) إلى ما بين عامي ١٣١٧ - ١٣٢٤ م إلا أنه من الصعب أن نصدر حكماً قاطعاً في وطن الكتاب إذ أنه قد يكون كورياً وقد يكون صينياً (١٠٩). أما الكتب الكورية الأخرى المطبوعة على حروف متحركة معدنية فهي كما يقرر نفس العالم أيضاً قدم من (جوتنبرج) وقد ذكر هذا الحكم في ذيل البحث السابق ويتحدث (ساتو) أيضاً عن كتاب من تلك المجموعة الأخيرة يرجع تاريخه إلى عام ١٤٠٩ م جاء في مستلحقه حديثٌ على لسان ملك كوريا يدور حول تاريخ الطباعة بالحروف، فقد جاء أن هذا الملك أظهر عدم ارتياحه لألواح الطباعة الخشبية وأمر بصنع أحرف نحاسية على نفقته ونفقة بلاطه لطبع سائر الآثار الأدبية والمحافظة عليها من الزوال، ويختم الملك حديثه بأحسن الرغبات وأحر عبارات الدعاء وأن يبارك المشروع ويبارك مستقبله وكان ذلك في تاريخ يقع بين ١٤ ديسمبر ١٤٠٣ و ١٢ يناير ١٤٠٤ م

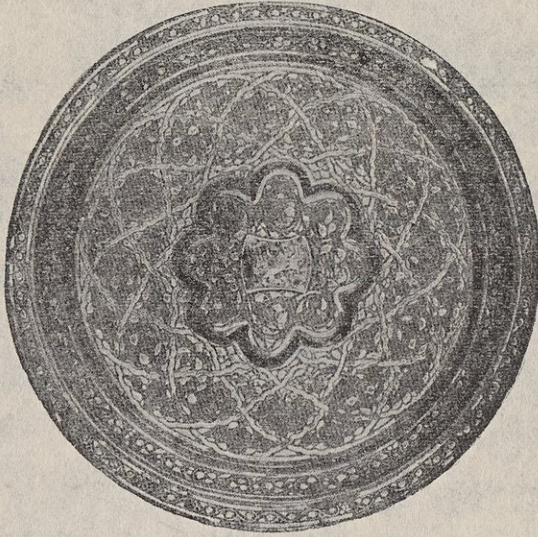
لكن بالرغم من كل تلك العوامل لم تستطع الطباعة الصينية أن تتقدم وذلك لأن صب الكلمات الصينية يحتاج إلى كميات كبيرة جداً من الأشكال أولاً والمعدن ثانياً

فهى كما يقرر نفس العالم أيضاً أقدم من (جوتنبرج) وقد ذكر هذا الحكم فى ذيل البحث السابق (١١٠) ويتحدث (ساتو) أيضاً عن كتاب من تلك المجموعة الأخيرة يرجع تاريخه إلى عام ١٤٠٩ م جاء فى مستلحقه حديث على لسان ملك كوريا يدور حول تاريخ الطباعة بالحروف فقد جاء أن هذا الملك أظهر عدم ارتياحه للألواح الطباعة الخشبية وأمر بصنع أحرف نحاسية على نفقته ونفقة بلاطه لطبع سائر الآثار الأدبية والمحافظة عليها من الزوال ، ويختم الملك حديثه بأحسن الرغبات وأحر عبارات الدعاء وأن يبارك المشروع ويبارك مستقبله وكان ذلك فى تاريخ يقع بين ١٤ ديسمبر سنة ١٤٠٣ و ١٢ يناير سنة ١٤٠٤ م .

لكن بالرغم من كل تلك العوامل لم تستطع الطباعة الصينية أن تتقدم وذلك لأن صب الكلمات الصينية يحتاج إلى كميات كبيرة جداً من الأشكال أولاً والمعدن ثانياً لذلك ظلت الطباعة محدودة ومستعملة فى نطاق ضيق جداً حتى أدخلت الأبجدية السامية الصوتية فقفزت الطباعة وظهرت فى الوجود كعنصر من أهم عناصر الثقافة الإنسانية .

هذا قليل من كثير وفى هذا القدر القليل ما يكفى لمعرفة فائدة علم الاستشراق وضرورة العناية به للامام بمعرفة وتاريخ كثير من المخترعات والأشياء التى تغفلت فى حياة الغرب اليومية ، وإذا ذكر الاستشراق هنا فلا يعنى ذلك النوع من الدراسة الجامد الجاف والذى يعنى مثلاً بالوصول إلى معرفة القواعد النحوية التى كانت مستعملة فيما قبل التاريخ والتى لا يمكن أن تخضع للأجرومية المنطقية ، ولا يعنى أيضاً هذا النوع من الاستشراق الذى يحاول معرفة الأجرومية العبرية فى العصور الجليدية فكل هذه المجهودات وأمثالها لا تساوى هذا العرق الطاهر الذى يتصبب من جبين العالم المستشرق . وفيما عدا الناحية الصناعية التكنيكية عرض جورج يعقوب عرضاً

سطحياً للناحية الدينية ومن ثم انتقل إلى النواحي الاقتصادية والثقافية والفنية والأدبية
وتوصل إلى كشف العلاقات بين الشرق والغرب تلك العلاقات التي طمست معالمها
هذه المدارس التي تمجد القديم وتبالغ في رفع شأن الدراسات الكلاسيكية .



وقد اهتدى التاريخ إلى معرفة أن البابليين تركوا في حياة العالم الاقتصادية والثقافية أثراً بليغاً فالعلاقة بين قيمة الفضة وقيمة الذهب والقاعدة القديمة لنظام نقود « دارايافوش » ظلت سائدة حتى سقطت قيمة الفضة . وقد أثبت العلامة « هوجو فنكلر » (١١١) أن العلاقة بين الفضة والذهب قائمة على العلاقة بين الشمس والقمر أى ٢٧ « حسب زمن دوران القمر » : ٣٦٠ « = ١ : ١٣١ » . وفى القرن التاسع عشر الميلادى حدث اختلاف بسيط فى هذه النسب القيمية أدى إلى حدوث ضائقة مالية شديدة ولم تستطع القيمة الحقيقية الجديدة أن تتغلب على البابلية القديمة إلا تدريجياً وبعد مجهود شاق . والعملة الورقية التى هزت العالم المالى هزاً عنيفاً من اختراع الصين وقد تتبع تاريخها عالم الصينيات المشهور « كلا بروت » (١١٢) ومن الجدير بالذكر هنا أن الصورة التى يعبر بها فى اللغة الصينية عن هذا الضرب من النقود هى « تشاو » (١١٣) المكونة من الإشارتين الدالتين على « معدن » و « قليل » فالكلمتان تدلان على علة عمل هذا الورق النقدى . ويذكر « فلرز » (١١٤) فيما يتعلق بهذا الورق وصناعته أنه كانت تقطع قطعة الورق وعليها صورة الشريف أو العباسى ويقرأ عليها قسم بعده يصرح بتداولها . وما قيل عن النقود الورقية من حيث وطنها الصينى الأصلى يقال أيضاً عن النقود المعدنية فالعالم « مكس فير » يقرر أن الصين عرفت هذا النوع من النقود فى عصر لا يمكن أن يكون متأخراً عن القرن التاسع ق. م. (١١٥) لكن العلامة « جورج يعقوب » يشك فى هذا رأى وذلك لأن « كنج » أحد العلماء الذين يمكن الاعتماد عليهم والأخذ برأيهم

قام في جامعة « كيل » بألمانيا ببحث النقد الصيني وقدم رسالة في هذا الموضوع نال عليها إجازة الدكتوراه في القانون . وقد توصل في بحثه هذا إلى نتائج قيمة منها أن كثيراً من قطع النقد الصيني التي كان يظن أن لها قيمة تاريخية كبيرة مزيف ، لذلك قد يكون اليونان هم أقدم من أوجد عملة معدنية بدليل أن أقدم نقود فينيقية يظهر عليها الطابع اليوناني . أما أقدم ورقة نقدية صينية وصلت إلى يد العلماء فهي تلك التي تقدم بها الدكتور « إيرنفلد » عام ١٨٨٩ إلى مؤتمر المستشرقين الذي عقد في استكهولم . وقد انتقل هذا الضرب من النقود إلى أوروبا عن طريق المغول كما يظن ، وذلك في أثناء تقدمهم في أوروبا . وقد ظهر في أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٩ م (١١٦) بحث صغير للعالم « جرسهوف » عن « الحوالات المالية عند العرب » أثبت فيه أن هذه الحوالات المالية لم يعرفها العالم القديم وأول من عرفها هم العرب وعندهم أخذتها أوروبا في القرن العاشر عن طريق إسبانيا وإيطاليا . ومع هذا الاختراع انتقلت أيضاً الكلمات والاصطلاحات اللازمة له ، وهذه المفردات إما فارسية الأصل وإما عربية ، وما زالت متداولة إلى اليوم في اللغات الأوربية إما بصيغها الأصلية وإما مترجمة ففي اللغات الهندية الأوربية نجد مثلاً التعبير « أفال Aval » وما هو إلا الكلمة العربية « حوالة » ، كذلك لفظ « شيك » فهو شرقي فارسي كثيراً ما ذكره الفردوسي .

الشرق

أيضاً هو الذى أوجد أهم وسيلة من وسائل المواصلات وقد تحدث العلامة جورج يعقوب عن (البوصلة) وعن (الحمام الزاجل) والآن يتحدث بشيء من التفصيل عن (العربة) التى تعتبر من أهم وسائل المواصلات قديماً وحديثاً لا فى الغرب فحسب بل فى الشرق أيضاً فقد استخدمت قديماً فى شرق آسيا كوسيلة من وسائل المواصلات والتى تحمل على عجلات ، فقد أثرت كثيراً فى بناء العربة الحالية . والكلمة الصقلبية (دروشكه) نجدها فى البولندية (دروشكا) والروسية (دروشكى) وهى تشير إلى الشرق . كذلك إدخال العرب للجمل فى شمال إفريقيا يعتبر من الأحداث العظيمة ، إذ أنه قام بالدور الذى تقوم به السكك الحديدية اليوم ، وإذا علمنا أن الرومان لم يقدموا على ما أقدم عليه العرب فى هذا الميدان الإفريقى أدركنا عظم الرسالة العربية فى هذه الأقاليم التى أدت إلى ربط أجزاء الدولة العربية أولاً ، وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية بين إفريقيا وآسيا من ناحية والشرق والغرب من ناحية أخرى ثانياً .

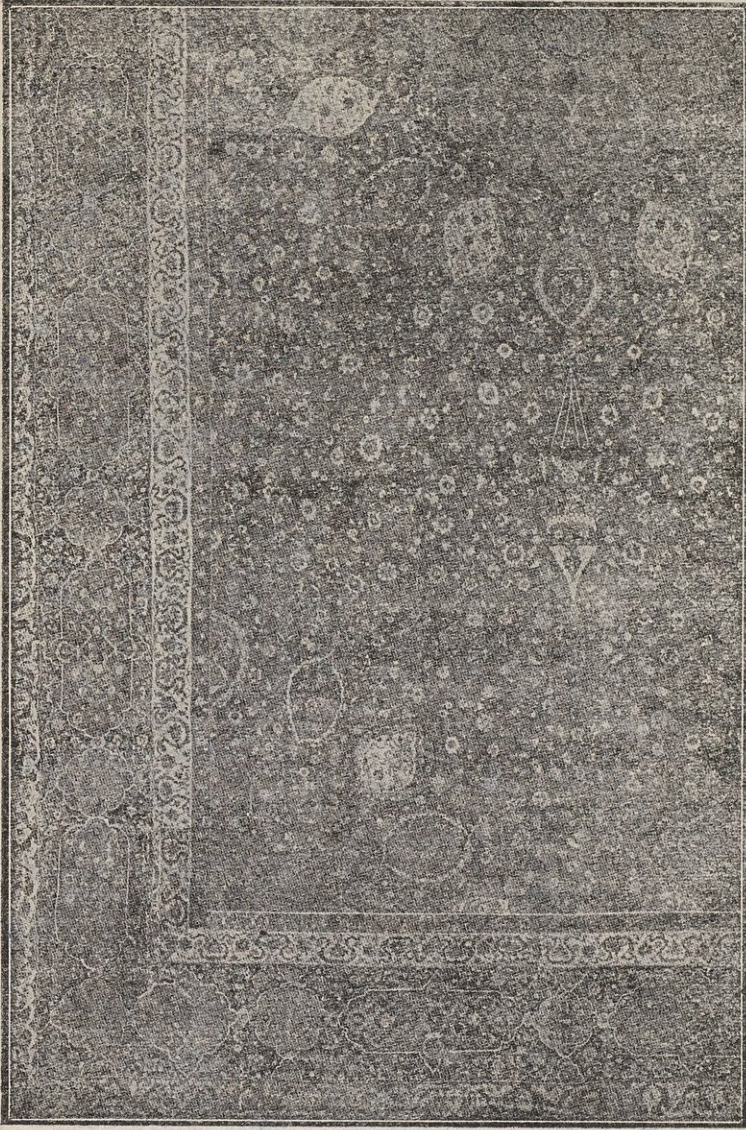
والآن عند دراسة الاقتصاد السياسى ينظر الباحث إلى نظريات « كويسنى » كنظريات أساسية فيزوكراتية أعنى نظريات تقول بأن الأرض هى المصدر الوحيد الذى عليه تتوقف حالة البلاد الاقتصادية ، وعند شرح هذه النظريات يتجه العلماء عادة إلى الصين ، وقد ذكر « فولتير » — إذا أراد إنسان أن يتثقف فى الأحداث التى تقع على هذه الأرض كفيلسوف يجب عليه أن يتجه إلى الشرق أولاً مهد جميع الفنون ، ويدين له الغرب بكل شيء — وفى السنوات الأخيرة ظهر كتاب

للأستاذ «ريشفين» عنوانه الصين وأوروبا (١١٧) أشار فيه إلى المؤثرات الصينية في أفكار «كويسني» كما وضع أيدينا على الشبه القوي بين الأفكار الصينية والأفكار الكويسنية وكويسني يفضل تلك الآراء الصينية على النظريات اليونانية . وهو يذ كر أن كل العناصر التي أثرت فيه كوَّنت فيما بينها أولا صورة ثم تلتها ثانية فثالثة وكل هذه العناصر مجتمعة لم تتوفر إلا في الصين (١١٨) . ومن الجدير بالذكر أن «كويسني» لما توفي ودفن ألقى تلميذه «ميرابو» كلمة نحا فيها نحو تلميذ «كونفوشيوس» (١١٩) فمن هذا يتبين أن حتى أحدث العلوم ترجع إلى الصين .



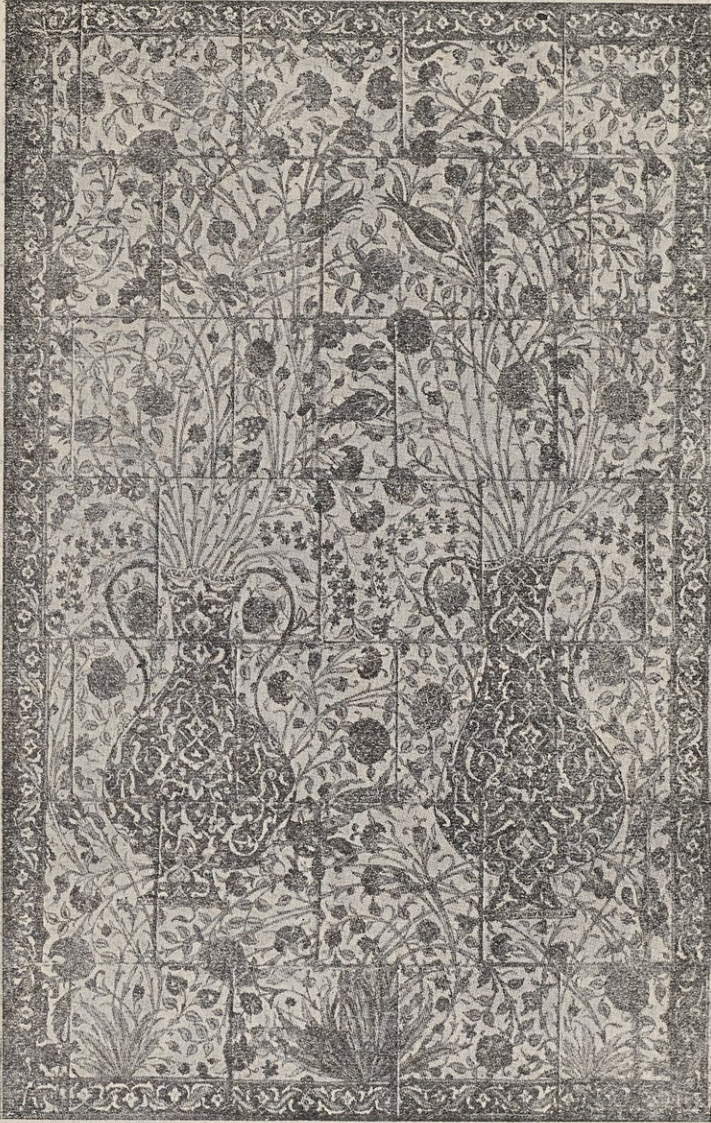
عن

الشرق أيضاً أخذ الغرب فنونه الزخرفية أو التطبيقية ، ففي العصور الوسطى استورد الغرب أجود الأقمشة وأبدعها من الشرق ، وحتى يومنا هذا فالسجادة العجمية لا تعدلها سجادة أوربية تقليدية وقد أشار « سوفوس لارسن » في بحثه المنشور بمجموعة الأبحاث التي قدمت لاندرياس إلى انتقال النماذج الساسانية إلى البلاد الاسكندنافية (١٢٠) كذلك فن صناعة المينا أخذه اليونان والرومان عن المصريين ، أما بقية الدول الأوربية فقد أخذته عن العرب عن طريق إسبانيا (١٢١) . وفيما يتصل بصناعة النسيج والخزف فالصين هي التي قدمت للعالم خير الأنواع وأفضلها أعنى الحرير والصيني . وقد أدى تحريم الإسلام لبس الحرير على الرجال ، لأن في لبسه شيئاً من التبرج للمقوت ، وتحريم الأكل في الأواني المصنوعة من المعادن الثمينة إلى ظهور هذا النوع من القماش المصنوع من الحرير المخلوط والذي يطلق عليه بالفارسية « ابريشم » وإلى خلق هذا النوع من الخزف ذي البريق المعدني . وقد حاولت أوروبا تقليد صناعة هذا الخزف فلم توفق حتى يومنا هذا ، وما زالت قطع الخزف ذات البريق المعدني الإسلامية التي صنعت في العصور الوسطى تفوق بكثير تلك التي تصنعها أوروبا في يومنا هذا . ولعل سر إتقان هذه الصناعة يتوقف على مادة الطلاء الداخل في تركيبها المعدن المطلوب ، وتعريضها لحرارة ضعيفة كافية لأن تخرج غاز الاكسوجين فيظهر المعدن ببريقه المطلوب . وتوجد في جامع عقبة بالقيروان قطع من الخزف ذي البريق المعدني وضعت عام ٨٩٤ م بأمر ابراهيم بن الأغلب ، وقد جلب معظمها من بغداد كما صنع البعض الآخر بغدادى كان مقيماً بالقيروان ، لذلك يظن أن هذا الفن عراقي الأصل



سجادة ذات وبر من جامع أردبيل فارسية مؤرخة سنة ١٥٤٠ بمتحف فكتوريا والبرت .

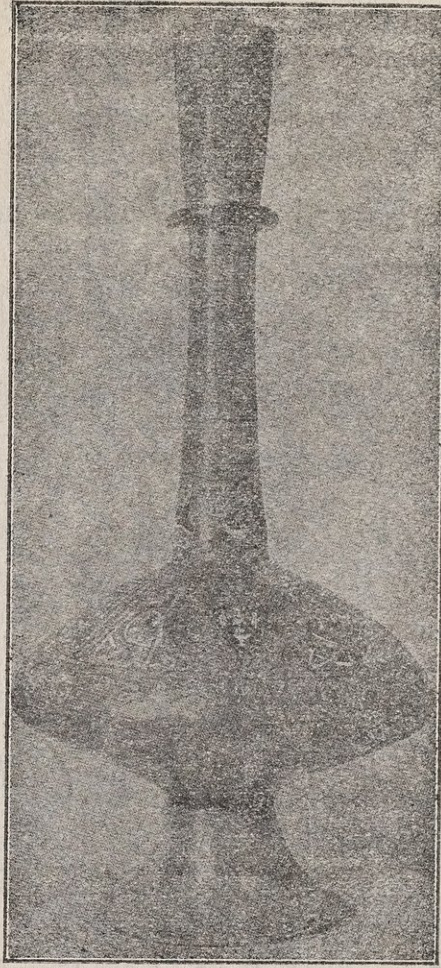
ومن هناك انتقل عن طريق القبروان إلى اسبانيا ، كما أجادت ملقا هذه الصناعة إلى حد بعيد . وفي كثير من المتاحف العالمية مثل « همبورج » نجد كثيراً من هذه القطع ذات البريق المعدني التي تشهد ببراعة الصانع وجودة الصناعة . وعدا الزجاج الخشن والخزف ذي البريق المعدني أجاد الشرق كساء الخشب وتغطية الورق المقوى بطبقة لامعة تتجلى فيها المهارة الفنية النادرة . كذلك صناعة الـ « لك » الموجودة في شرق آسيا ما زالت إلى اليوم معجزة الصناعات خاصة في اليابان التي أخذتها عن الصين في القرن السابع الميلادي ، وعنت بها . فقليل من الأوربيين من يستطيع مجارة الشرقيين وإجادة هذه الصناعة . وإذا ذكرنا « لك » ذكرت تلك الكميات الهائلة التي تصدر منه ومن الأواني المصنوعة به إلى أوروبا . فهذه الأواني بالرغم من أنها صنعت للتجارة فقط ولم تراع فيها الدقة الفنية اللازمة إلا أنها ما زالت تبهر أعين الأوربيين . أما الطريقة المتبعة في صناعة القطع الفنية الخاصة فهي دهن القطعة المرة بعد الأخرى مع مراعاة قواعد خاصة ، وذلك بأن تجفف أولاً الطبقة المدهونة جيداً ، ومن ثم تصقل صقلاً ناعماً مع اتخاذ كل الاحتياطات لمنع وصول التراب إلى الدهان ، وهكذا يوالى وضع طبقات الدهان حتى تنتهى العملية وأحياناً يجلس الصانع وسط المياه ليأمن وصول ذرات التراب إلى قطعه . وغير العناية بالأصباغ نجد الياباني يوجه عناية أخرى لنوع الخشب الذي يستخدمه فأجود نوع يقع عليه اختيار العامل هو ذلك المأخوذ من شجرة السرو اليابانية والتي يطلق عليها في علم النبات « ريتنوسبورا بيسيفرا » وقد يستخدم بعض الأوربيين خشبها للزخرفة . أما الـ « لك » فيستخرج عادة من عصير شجر الساق . ومن ثم يعمل فيه الصباغ مهارته وفنه حتى يكسبه اللعان المطلوب كما يلونه بمختلف الألوان ، وذلك بوضع مساحيق فضية أو ذهبية أو غيرها من المساحيق المطلوبة على الخشب أو الجسم المراد دهنه ومن ثم يضع



لوح من تربيعات القاشاني المنقوش . دمشق القرن السادس عشر

عليه طبقة الـ « لك » (١٢٢) . وفي العالم الاسلامي نجد صناعة الـ « لك » تبلغ شأواً بعيداً خاصة في فارس والهند في القرن السابع عشر حيث نجد أغلفة الكتب وأغطية المرايا في شكل كتاب . وبعض أوراق اللعب الجميلة المعروفة باسم « جندشيف » التي نجدها منشورة في كتاب « ساره » عن تجليد الكتب الإسلامية . « برلين ١٩٢٣ » (١٢٣) وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كثر الولوج في فرنسا بالصين ، ولم يمض زمن طويل حتى انتقلت هذه العدوى إلى سائر الممالك الأوروبية وأخذ القوم يهتمون إلى جانب اهتمامهم بالحرير والصيني كذلك بالـ « لك » الذي كان يلعب في ذلك العصر دوراً هاماً فأدخلت صناعته إلى فرنسا في القرن السابع عشر ولم يأت منتصف القرن الثامن عشر إلا وكانت قد ازدهرت في فرنسا ازدهاراً عظيماً وأخذت أوروبا تستعين بكثير من النماذج الصينية لنقش تحفها وزخرفة دورها وتجميل عربات النقل والعصى وما إليها . وفي عام ١٧٦٣ أسس « شتو بقسر » مصنعاً في « برون شويج » لصناعة الـ « لك » اللازم لطلاء وزخرفة علب النشوق التي كانت تعني مصانع « شتو بقسر » بإنتاجها (١٢٤) لكن بالرغم من جميع الجهود التي كرستها أوروبا للرقى بهذه الصناعة فما زالت إلى اليوم متخلفة عن تلك التي نجدها في اليابان . أما لفظ « لك » فهندي الأصل ثم انتقل إلى الفرس ومنهم إلى العرب وعن الأخيرين أخذته أوروبا (١٢٥) .

ويختلف الفن باختلاف المادة الأساسية المعدة له فمثلاً الصيني المرن يناسب التعبير عن الفن الروكوكي جيداً ، ولو أن هذه الزخرفة الروكوكية قد تكون مستمدة من السحب الصينية ، والشيء الجدير بالذكر هنا أن أوروبا أخذت هذه القطعة الصينية الفنية ككل لا بجزء ، وذلك حسبما كانت تواتيها قوتها ويجاريها استعدادها ، والذي حدث هو أن أوروبا أخذت تقلد الصين أولاً ثم أخذت بعد ذلك توفق بين هذا الفن الصيني وبين الذوق الأوروبي وتطوره ولو أن أوروبا ظلت تستخدم بعض العناصر

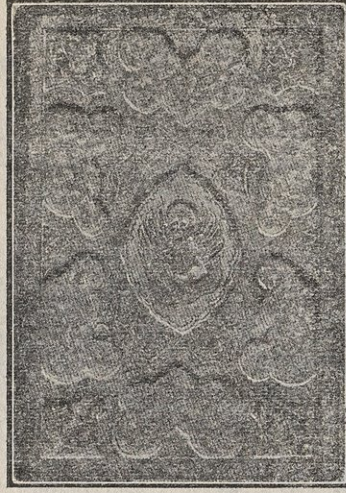


قنينة من الزجاج المموه بالطينا — الشام — القرن الرابع عشر

الصينية في كثير من إنتاجها الفني ، ومع مرور الزمن أخذ الذوق الأوربي يستسيغ هذا العنصر الأجنبي ويعجب به . والشئ المسلم به الآن أن القطع الفخارية الحلالة بالرسوم ومختلف ألوان الدهان « ماجوليكا » (١٢٦) والتي اشتهرت بها مدينة البندقية ، وكذلك صناعة البلاط القيشاني في المدينة الهولندية « دلفت » وتصوير الطبيعة على نوع الزجاج المعروف باسم « جاليه » كلها في الواقع مأخوذة عن فن شرق آسيا . فاليابان هي التي دفعت الفنون التطبيقية الأوربية إلى التفاني في الطبيعة والمناظر الطبيعية من حيوانية ونباتية ، فساهمت في تخليد الوطن وتقديسه ونجد أثر هذه الظاهرة في البرسلان المحفوظ بمدينة كوبنهاجن ، ويقول العالم « جرول » في كتابه عن فن شرق آسيا وأثره في أوربا (١٢٧) في صدد الحديث عن الفن الياباني وأثره في أوربا ما ملخصه — كل العناصر القوية الموجودة في الفن الأوربي الحديث والتي ترمى إلى غزو الطبيعة واسترجاعها يابانية الأصل كذلك الحال مع الفنون الزخرفية فالعلاقة بينها وبين الفن الياباني قوية جداً . ويتحدث « جرول » في ص ٧١ — ٧٢ من كتابه السالف الذكر عن مصانع البرسلان الدنياركية والسويدية ويقول أنها أخذت عام ١٨٩٨ كثيراً من البرسلان الياباني « مياجاوا كوزان » المعروف باسم « مكدوزو » ويظهر أن الأثر الياباني كان قوياً مفيداً حتى أن عالمين شهيرين هما « بيترو كروهن » و « أرنولد كروج » صرفا زمناً طويلاً في دراسة الفن الياباني حتى أصبحا من كبار مؤرخيه يقرران بوضوح أنه لولا الفن الياباني ما استطاع الفن الدانياركي أو السويدي النهوض تلك النهضة العظيمة التي كفلت له السمواً أولاً والاستقلال ثانياً . لكن قد تقع مصانع البرسلان في أخطاء وأغلاط ما كانت لتخطر على بال أحد ، فمثلاً نموذج البصلة الذي تنتجه مصانع « ميسنر » هو في الواقع خطأ وسوء فهم للرمانة الصينية (١٢٨) كذلك الأواني الفخارية اليابانية ذات الطلاء اللامع الجميل وجدت إلى قلوب الفرنسيين طريقها فبهرت أوربا وسارع الفرنسيون إلى تقليدها (١٢٩) .

وفىما يتعلق بتغليف الكتب فقد برع فيه العالم الإسلامى ونبغ ، وما ساهمت به
(هرات) فى هذا الفن لا يقاس به أى مجهود آخر فى مختلف البلاد والأقطار
وما أنتجته (هرات) تعجز أوربا حتى اليوم عن تقليده . ولما أخذ الغرب بهذا الفن
فى عصر النهضة اکتفى فى أول أمره بمحاكاة هذا النوع الإسلامى وهذا يتجلى واضحاً
فى الأشياء التى وصلتنا عن البندقية و (أوفن) حيث نلمح هذه النماذج الشرقية
الإسلامية المأخوذة عن السجاد العجمى لذلك نجحت كل من البندقية و (أوفن)
فى القيام بدور الوسيط بين الشرق والغرب . ومن الأقاليم الواقعة على البحار الجنوبية
حيث جزيرة يافا أخذت أوربا بعض أنواع الفنون الزخرفية خاصة ذلك النوع المعروف
باسم (باتيك) .

وحتى هذا العنصر الموجود فى الثقافة الأوربية والذى يرجعه العلماء إلى اليونان
شرقى الأصل . وبواكير الفن الإسلامى تنطق بأنها مقتبسة من الفن المصرى القديم
أوفن الشرق الأدنى . وفى الهلينية نجد المؤثرات الشرقية تطفى على اليونانية وقد
أثبت ذلك العالم (بوخستين) فى كتابه الأساطين الأيونية كجزء من البناء الكلاسيكى
شرقية الأصل (١٣٠) وفى نفس المصدر يذكر المؤلف أن أهم عناصر فن البناء الهليني
مصرية وقد أخذها اليونان عن طريق الشرق الأدنى . وهذه الخطوط المنقوشة
ما هى إلا باقات اللوتس وسيقان البردى الموجودة على الأعمدة المصرية القديمة إلا أنه
أسوأ فهمها (١٣١) وهى صورة تعبر عن بناء المظال ، وإذا كان (بوخستين) يعرض
فى ص ٢٤ من كتابه الأساطين الأيونية المعتمدة على هذه السيقان الدقيقة ويصفها



غلاف كتاب من صناعة البندقية في القرن السادس عشر



غلاف كتاب ألماني حول سنة ١٥٨٣

بأنها عمل رهيـب فجورج يعقوب يقرر أن استخدام التماثيل التي تعبر عن فتيات يحملن كتلا كبيرة من الأحجار أرهـب وأقسى ، وأبعد عن الذوق والزخرفة الحـلـزونية الموجودة على العمـد الأيونية ترجع إلى الزخرفة البرعومية الشرقية التي كانت تعمل في الأصل كإكليل فانتقلت إلى الأحجار اليونانية لكن طبيعة الحجر شوهت هذه الصورة الجميلة وكان مثلها مثل زبد وضع تحت حجر ثقيل . وحتى الزخرفة اليونانية الموجودة على الزهريات في شكل إفريز من الأزهار تعبر عن كثير من العناصر الشرقية كما تبين من الرسوم الواردة في ص ١٨ من كتاب (بوخستين) . وقد أثبت العلامة لمان هوبت (١٣٢) أن الشمعدانات المنتشرة في أوربا والتي هي تقليد لأخرى اصطـلح القوم على تسميتها رومانية إشارة إلى انتقالها من الشرق إلى الغرب أيام الحكم الروماني (١٣٣) ترجع إلى القرن الأول الميلادي كما تظهر من تلك التي عثر عليها (في بومبي) . وما هذه الشمعدانات إلا صورة صادقة لأخرى أشورية . أما الحفر على الأحجار الكريمة فيقول عنه (فورتفنجـلر) في الصحيفة الأولى من المجلد الثالث من مؤلفه القيم عن الأحجار الكريمة والذي نشره عام ١٩٠٠ ما ملخصه : إن النقش على الأحجار الكريمة فن لا يتحتم وجوده عند كل شعب بلغ مرحلة ثقافية خاصة أو أصبح حظه من الذوق الفني عظيما وذلك لأنه يكاد يكون من المجزوم به أن فن الحفر على الأحجار الكريمة لم يعرف إلا وطناً واحداً وهو أرض بابل :

ويذكر (بوخستين) في كتابه السالف الذكر أن الأعمدة التي استخدمت كعنصر زخرفي في البناء مصرية الأصل وقد انتقلت حوالى الألف الثاني قبل الميلاد إلى سوريا والشرق الأدنى ، وفي القرن السابع الميلادي فقط إلى اليونان . أما القباب التي هي ضرب من ضروب فن البناء عظيم وهي وحدها التي تمتزج بالقبعة السماوية بخلاف فن البناء اليوناني الذي يكون خطأ في الطبيعة فشرقية الأصل و بناؤها كان

معروفاً لدى الفن المعماري الآشوري (١٣٤). وعن طريق فارس أخذ يتنقل هذا الفن إلى سائر بقاع العالم (١٣٤). وكنائس الطائفة المسيحية المعروفة باسم الداوية تقليداً لمسجد عمر بالقدس ، وذلك لأن هذه الطائفة الدينية اعتقدت منذ العصور الوسطى أن هذا المسجد هو معبد سليمان ، وعن طريق هذه العقيدة وتقليد أصحابها لمسجد عمر عند بناء كنائسها انتقل فن البناء العربي إلى أوربا وظهرت القبة في صورة روافئيل عن زواج مريم . لكن الشيء الجدير بالذكر ، هو أن الأتراك العثمانيين أخذوا نوعاً آخر من القباب عن البيزنطيين ، وهو ذلك النوع المسطح الذي يظهر في مسجد أياصوفيا مع بعض التغيير الطفيف ، إذا كتمى الأتراك بنظام أنصاف وأرباع القباب ليتخلصوا من هذه الصورة البغيضة التي تتركها القباب المسطحة في النفس والتي تشبه في الواقع خزانات زيت البترول . وعلى النقيض من القباب البيزنطية التركية المسطحة القباب الفارسية المزخرفة بالقيشاني والتي ترتفع مستديرة منتهية بما يجعلها قريبة من البصلة . وهذا النوع من القباب كثير الانتشار خاصة في الشرق الصقلي كما شق طريقه أخيراً إلى فن البناء الألماني . أما فيما يتعلق بانتقال القباب من الشرق إلى سائر بقاع العالم فقد تركه العلامة (جورج يعقوب) لغيره من الباحثين خاصة أولئك الذين يعنون بالمعمار وتاريخه .

ويذكر المؤلف أيضاً أنه ليس في حاجة إلى مجازاة مؤرخ الفن العالم النموسي (سترزيجوفسكي) الذي يتحدث عن الشرق وأثره المعماري العظيم في الحضارة العالمية خاصة في بحثه عن آسيا الصغرى كقل جديد من حقول تاريخ الفن . فقد أثبت هذا العالم أن أهم عناصر الفن الروماني كانت معروفة في الشرق قبل الغرب بقرون ، وذلك بخلاف الفن القوطي الذي بالرغم من صلة القرابة القوية بينه وبين الفن الشرقي لم يأخذ عن الأخير إلا الأقواس المسطحة المدببة بالرغم من أن هناك علماء يقولون إن

الفن القوطى أخذ كثيراً عن الفن الشرقى . فقد ذكر (ديز) فى ص ١٦٨ من كتابه الذى نشره فى فينا عام ١٩٢٣ عن « دراسات حول الفن الشرقى » (١٣٥) أنه يترك لعلاة الوطنيين من الباحثين فرصة الاهتداء إلى أصل الفن القوطى ووطنه سواء فى (إيل ده فرانس) أو غيرها إلا أن هناك حقيقة واحدة لا تقبل تردداً أو مساومة وهى أن كل العوامل التى أدت إلى خلق الفن القوطى شرقية .

وقد استخدم العرب هذا النوع من الأعمدة قبل الأوربيين بزمان لا يقل عن ثلاثة قرون ، ومن بقاياها جامع عقبة ، والأبنية الطولونية بالقاهرة ، والمسجد الأقصى بالقدس . أما القوس المدبب الموجود بمقياس الروضة فيظهر أنه أقدم من تلك الموجودة فى مسجد ابن طولون الذى بنى فيما بين عامى ٨٧٦ — ٨٧٨ م . وحاول (هازاك) (١٣٦) إثبات أن العبارة العربية فى القرن التاسع الميلادى استخدمت هذه الأقواس المدبية متأثرة بفن المحار الأوروبى لكن الجدير بالذكر هنا أن أكبر بناء ألماني فى شرق ألمانيا ألا وهو (مرينبورج) يحمل آثاراً إسلامية (١٣٧) . وفى الأبراج التابعة لبعض الجماعات الدينية والتى ترجع إلى القرن الثالث عشر نجد فى نوافذها وعند المداخل الطوب ، كما توجد كتابات إفريزية على الطوب المطلى ، وكل هذه عناصر شرقية (١٣٨) ويذكر (لَسْكَ) فى كتابه عن « أثر شرق آسيا فى فن البناء الغربى خاصة فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر (١٣٩) كيف أن فن تلك الجهات الآسيوية ترك أثراً فى الروكوكو وفى العصر الذى سبقه . ونفس هذه النتائج توصل إليها أيضاً (ريشفين) فى كتابه الخالص الذى سبقت الإشارة إليه .

وفى مجموعات الصينى والتماثيل والديوك البرية التى نجدها عند الأمراء الأوربيين أكبر دليل على الولوج والهيام بالفن الصينى . ومن تلك الآثار الشرقية أيضاً السطوح المقوسة التى أخذت تظهر فى المنازل الأوربية ، وحلت زوايا الغرف البيضاوية محل

الزوايا الأخرى العادية . والبارافانات التي أصبحت من القطع الأساسية في أثاث المنزل
يابانية الأصل ، واسمها الإسباني البرتغالي (بيومبو) يؤيد أصلها الياباني إذ أن الاسم
الياباني لقطعة الأثاث هذه هو (بيوبو) . وعن الصين سبق أن ذكر أن أوربا
أخذت نظام تغطية الحيطان بالورق الذي حل محل الجلد وقد كان مستعملا في عصر
الباروك ، أو الحرير أيام الروكوكو ، وحتى في استخدام الجلد أو الحرير أثبت العالم
(برناردت شمدت) في كتابه عن الأبنية والآثار الفنية لمنطقة (مرينبورج) والذي
نشره عام ١٩١٩ (١٤٠) وجود أثر فن شرق آسيا . والذي حدث أن الصين
كانت تغطي حيطان مبانيها بالورق منذ القرن الرابع الميلادي ثم أدخلته هولنده
في القرن السادس عشر وانجلترا في السابع عشر .



ويظهر أيضاً أن فن البناء الأمبراطوري الانجليزى الجاف متأثر بالمصرى القديم وحتى الأدوات المنزلية الأوربية فالآثار الشرقى فيها عظيم كما يشير إلى ذلك (هينريش بودور) فى كتابه عن « بابل والكتاب المقدس فى الفن الحديث » فهذا المؤلف يذكر أن أشهر عبقرية فى الفن الحديث سواء فى الخلق أو العمق أو التنوع هى ولا شك شخصية (بيتر بهرن) ، وفى آثار هذا الفنان لا نجد العنصر المصرى فحسب بل البابلى الأشورى أيضاً مما يدل على أنه تأثر فى كل آياته الفنية ببابل والكتاب المقدس .

وبينما التراث الشرقى غنى متنوع ، إذ بالرومانى فقير مقل ، وقد يعتبره الإنسان خربا هداما ، فنحن نعلم أن الفندال قضوا على القوطى أيام عصر النهضة ، وحطمت الكلاسيكية الروكوكو ، كما فعل مسيحيو شرق أوربا وغربها المتوحشون بالفنين العثمانى والإسلامى ، وقد كانت كفة الأخير راجحة فالتاريخ يحدثنا أن المسيحيين عقب استيلائهم على قرطبة والحمراء شوهوا مساجدها وخرّبوها وبنوا فى داخلها أبنية أخرى مما دفع كارل الخامس إلى إعلان أسفه أكثر من مرة لم اقتطفه يده فى قرطبة والحمراء . كذلك الحال مع مسيحي شرق أوربا مسيحي البلقان ، فقد امتدت أيديهم إلى آيات الفن الإسلامى العثمانى التى كانت تزين مدهم وميادينهم وحطموها وأقاموا على أنقاضها أخرى لا تمثل فناً ولا ذوقاً ولا جمالا . وكان ذلك أول عمل قاموا به عقب استقلالهم وانفصالهم عن الدولة العثمانية كذلك فعلت بولندة بالمبانى والكنائس الروسية الجميلة التى ضاعت كلها ضحية لتطرف

روما والكنيسة الرومانية . وماذا فعلت انجلترا بمصر لقد اتخذت لها شعاراً غريباً وهو أن المنفعة أولاً والفن والجمال ثانياً ، لذلك أغرقت معبد الفيلة الجميل آية الفن وعنوان النبوغ المصرى القديم ، كما أن انجلترا تعمل جادة مهذمة بمعولها الحاد جمال القاهرة وتراثها الفنى القديم . وفى ألمانيا أتران فنيان قوطيان وهما دار البلدية بمدينة (روستوك) ومعرض (نورنبرج) وقد قامت حولهما مبان أخرى شوهدت جمالها وأضاعت روعتهما . كذلك الحال مع الكتدرائية القيصريية بمدينة (جوسلر) فقد أدخلت عليها عناصر كلاسيكية أفقدتها روعتها القوطية القديمة ، ولم يكد فريدريش الأكبر يغمض عينيه حتى قامت مجموعة من الأشياء الفنية الملونة بأقبح الألوان والبعيدة عن الذوق والتي إن دلت على شيء فعلى جهل صانعيها وعجزهم عن إدراك وتطبيق ما تلقوه من علم وفن . والواقع إن مسؤولية هذا المسخ تقع على عاتق هذه الفئة المتشعبة بروح الكلاسيكيين والإنسانيين ، ويذكر (تيودور منزل) فى نقده لكتاب (ريموند) عن الخريف ذى البريق المعدني التركى القديم فى الإسلام أن الإنسان إذا تغاضى عن أعمال التخريب والتدمير التى تسببها الحروب ، فالتركى حيث جاء كفاتح حافظ على سائر الأبنية القيمة كما أبقى على كثير منها ، ولما استولى العثمانيون على القسطنطينية كانت فى حالة تدهور وخراب أما صورتها الحديثة الجميلة فمن عمل اليد التركية فقد غنى الأتراك بها عناية كبرى ورعوا الفن وحنوا على الفنانين ، بخلاف المشاهد فى مدينة البندقية الآن مثلاً . وإذا نظر الإنسان إلى البلاد التى خضعت من قبل لحكم الأتراك وجد آيات الفن القديمة من كنائس وما إليها باقية بخلاف الحال الآن بعد أن تقلص حكم الأتراك فلا أثر للأبنية العظيمة التى شادها الأتراك من مساجد وغيرها . أما الحالة فى بلاد اليونان فأشنع وأفظع ، فقد خرب اليونانيون سائر الأبنية التركية من دور كتب ومساجد وغيرها ، وقد شاهد العلامة

(جورج يعقوب) فى قلعة (ميتلين) مكتبة مسجد خربة خالية وليس بها إلا بعض البقايا القليلة من الكتب مبعثرة على الأرض .

وفىما يتعلق بالأبنية التكنيكية خاصة تلك الأبنية الدفاعية كالحصون وما إليها فقد مر عليها (جورج يعقوب) سريعاً ورفض أن يقف ولو وقفة قصيرة منها ثم ذكر أن العالم (أوتوبير) يرجح أن أنصاف الأبراج التى ما زالت إلى اليوم قائمة فى (فريبورج) بسويسرا مثلاً شرقية الأصل عرفت فى فلسطين ، وهى عبارة عن أبراج نصف مستديرة أو قائمة الزوايا ومفتوحة من الداخل لا يأنس العدو إليها ، ولا يستطيع أن يطيل الإقامة بها . أما الشواكل أى الممرات الجانبية التى بها فتحات فشرقية الأصل أيضاً بدليل أن التسمية الأوربية (مشيكوليس) عربية الأصل . كذلك الحال مع الرحى الهوائية الفارسية فهى أقدم من تلك التى عرفت فى أوروبا بقرن على الأقل ، ولعل أقدم نص ورد فيه ذكر هذه الرحى الهوائية هو ذلك الخبر الذى يذكره مؤرخو العرب خاصاً بمقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد جاء فى الطبرى : خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف فى السوق فلقى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وكان نصرانياً فقال : يا أمير المؤمنين أعذنى على المغيرة بن شعبة فإن علىّ خراجاً كثيراً ، قال : وم كم خراجك ؟ قال : درهمان فى كل يوم . قال : وأيش صنعتك ؟ قال : نجار نقاش حداد قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت قال : نعم . قال : فاعمل لى رحى . قال : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالشرق والمغرب ثم انصرف عنه .

وجاء فى آثار البلاد للقزوينى ج ٢ ص ٣٢٢ طبع (فستيفيلد) أن من عجائبها (هراة) أرحية مبنية على الريح تديرها الريح بنفسها كما يديرها الماء (١٤١) .

الإسلام بأنه حارب التصوير إلا أنه لم يحرم الميادين العامة بالمدن الكبرى
 من ظلال الأشجار وجمال الزهور . وهذا خير من تمثال ضخيم من البلاستيك
 قد يكون قبيحاً ، وقد يعيق حركة المرور عندما تضرب حوله الأعمدة الخشبية لحمايته ،
 أو لما ترفع هذه الألواح الخشبية ، ويعين له بعض الحراس للمحافظة عليه من المارة .
 وقد يصعب على الإنسان أن يتصور أن الإسلام الذي حرم التصوير ترك أثراً بعيداً
 في الرسم الأوربي كما أن العلاقة بين الرسوم المصغرة الشرقية والغربية قوية جداً ،
 ولا يستطيع أحد إنكارها . وليس مصدر هذا الشبه اتفاقهما في الأصول فنحن نعلم
 تركيز الرسم المصغر الإسلامي في الماء والسحاب والنار وغيرها من العناصر الشرقية
 مما يؤيد أن هذا الفن شرق قديم . وقد ألفت حفائر (ترفان) نوراً جديداً على هذه
 المسألة . وسبق أن أشار « جورج يعقوب » إلى مدرسة فنون البندقية وكيف أن
 هذه المدينة كانت في يوم ما الباب الذي تدخل منه إلى أوروبا الآثار الفنية الشرقية
 الجميلة مثل سجاد برجاما وغيره من الآيات الفنية ذات الألوان البديعة . وقد أثر
 موقع البندقية في مدرستها الفنية فكنها من التفوق على المدارس الأخرى التي كانت
 تعنى لا بالألوان فحسب بل بالذوق والجمال أيضاً ، خاصة في عصر النهضة . ويذكر
 (ساريه) أن المصور العالمي (رمبراندت) تعلم كثيراً من الرسوم المصغرة الهندية
 الإسلامية التي قلدها وصورها (١٤٢) كما استغل كثيراً من الأواني والملابس الشرقية
 التي عرضها في لوحات كثيراً ما تعتمد على بيئة شرقية ، ورشاقة شرقية . وقد انتقل
 هذا الأثر الشرقي من (رمبراندت) إلى كثيرين من المصورين الهولنديين حتى أصبحت

البيئة الشرقية ، والنباتات الشرقية ، والحيوانات الشرقية ، والحيوية الشرقية
هى الطابع الخاص للتصوير الهولندى ، واللوحات الهولندية . ومن الفنون الشرقية
التي أثرت فى أوربا أيضاً الفن اليابانى وطباعة الألوان اليابانية . وقد تغلغت الأخيرة
فى فن فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإن كان وصولها إلى ألمانيا جاء متأخراً . أما أثر الفن
اليابانى فيستطيع كل باحث فى الفنون وتاريخها أن يعدد أسماء الفنانين الأوربيين
الذين تأثروا به خاصة فى هذا النوع المعروف الذى يحاكي الطبيعة (أمبرسيونزم)
(والإعلانات) وقد أثر الشرق أيضاً تأثيراً مباشراً ، إذا استثنينا طريق الفن ،
فى الفن الغربى فجعل البيئة عنصراً فنياً هاماً وأصبح الشرق موضوعاً لكثيرين من
الفنانين الأوربيين الذين يكوّنون مدرسة هامة فى الفن الحديث . فقد استخدم هؤلاء
الفنانون ريشتهم استخدام الشاعر العربى قريحته ، فهم يغمسونها فى شمس الشرق
الساطعة ويقدمونها للغرب صورة ملونة بألوان لا تتفق وطبيعة الغرب الباردة ،
هى صورة تقيض حيوية وقوة ، هى صورة محببة إلى النفس ويطمع فى اقتنائها
كل فرد . وعن طريق هذه اللوحات الفنية الشرقية الجميلة تعرفت أوربا أيضاً إلى الشرق
وتعرف الأوربى إلى أثر هذا الشرق فى الغرب . لكن الشيء الجدير بالملاحظة
هو أن منظمى المعارض الفنية كثيراً ما يراعون بعض العوامل الخارجية الخاصة مثلاً
بفن الصورة أو وطن الفنان ويهملون العوامل الخالقة للصورة أو عناصرها التاريخية .
وقد تنبه إلى هذا منظمو معرض ميونخ الذى أقيم عام ١٩١٠ وعرضت فيه أشهر
لوحات الفن الإسلامى وزاد فى فائدة هذا المعرض معرض مؤتمر المستشرقين الألمان الذى
عقد فى نفس الزمان والمكان ، وقد استفاد من إقامة المعرض وعقد المؤتمر المسرح وفن
الكتب المصورة وسائر الجماعات التى تعنى بالفنون . وقد أتاح هذا المعرض لزواره
الفرصة لمشاهدة الشرق من نواحيه المختلفة كما مكن الفنان من التعرف إليه وإصدار

حكم عنه يخالف حكم السائح أو العالم أحياناً . هذا فضلاً عن الفوائد التي يجنيها شمال أوروبا البارد ، والمؤثرات الجديدة التي قد يخضع لها .

ومن أشهر الفنانين الأوربيين الذين كرسوا حياتهم للشرق (١٤٣) والشرقيين (هلبند) (١٨١٨ — ١٨٦٨) مصور المناطق المدارية ، وصاحب اللوحات المائية التي قام برسمها أثناء رحلته العالمية . وقد خلقت لوحاته هذه بألوانها الفتانة فناً جديداً في عالم الألوان . وغير هذا الفنان نجد أيضاً (وليم جنتز) (١٨٢٢ — ١٨٩٠) ولوحاته محفوظة بالنسيونال جالريه بيرلين وكذلك نجد الفنان الشهير (فيرنر ايزنهوت) المتوفى عام ١٩٠٣ ومن أشهر لوحاته (موت جول بابا بمدينة أوفن) وهي تعتبر من أجمل اللوحات التي تفخر بها مدينة بودابست . ثم نجد أيضاً (فسيلى فرشتساجن) الذي خرق قتيلاً عام ١٩٠٤ . فقد استطاع هذا الفنان الموهوب أن يصور عظمة الفن المعماري المغولي بالهند كما رسم بريشته الحروب الشرقية معتمداً على مشاهداته الشخصية (١٤٤) . ومن أشهر الفنانين الفرنسيين الذين عنوا بالشرق الفنان الكبير (دلاكروا) (١٤٥) و (ديكم) و (مريلاهات) و (فرومنتين) و (جويليوميت) الذين عرض (موتز) لهم ولآثارهم الفنية في كتابه عن تاريخ الرسم في القرن التاسع عشر (١٤٦) . وليست حملة نابليون على مصر هي التي جعلت الغرب يدرك جمال الشرق وروعته وخياله القصصى ونقائضه الجميلة بل ظهور العصر الرومانتيكى .

الأمباحات الجديرة بعناية العلماء واهتمامهم وضع كتاب في تاريخ الفن
وصن القصص ونشأته في العهد القديم (التوراة) مثلاً نجد القاص الإسرائيلي
الشمالي يلعب الدور الهام في التأثير على عقلية الشعب ومعتقداته مما أدى إلى سيطرة
نوع من الرهبة على عقلية الإسرائيليين عند معالجتهم لأسفارهم المقدسة نلمس آثارها
في كثرة التفاسير التي نشأت في تلك العصور والتي هي خلو من الذوق والفن ، ولم يتبين
العالم حقيقة أسفار العهد القديم وما فيها من جمال وفن إلا بعد أن زالت تلك الرهبة
وتحررت العقول من شبح رجال الدين ، فظهر أمثال (جونكل) ووضع تفسيره الشهير
لسفر التكوين ، واستطاع أن يكشف للقارئ ما في هذا السفر من فن في العرض
وذوق في التعبير . كذلك الحال مع الإنجيل من حيث أسلوبه وعباراته فقد حاول
كثيرون فهمه على ضوء التراث الأدبي الكلاسيكي ففشلوا ، وذلك لأنه من الثابت
أن الإنجيل ألف أصلاً بالآرامية وليس باليونانية ، ونحن إذا قرأنا بعض قصصه مثل
قصة بطرس وأنكاره للمسيح لمسنا الأصل الآرامي وأدركنا التأثير البالغ الذي تركه
هذه القصة فينا والذي لا نجد في القصة في ثوبها اليوناني الغريب . والنشرات التي
تحدث عن اعتناق القديسين المسيحيين للنصرانية ، وعن المعجزات التي أتوا بها
ونبوءاتهم عن يوم مماتهم هي في الواقع شرقية . ففي البلاد الإسلامية نجد ما يعرف
بكتب المناقب ، وهي سير الأولياء والصالحين ، وعلى نمط هذه الكتب وضعت المؤلفات
الغربية المسيحية . وما يؤسف له أن تاريخ هذا الضرب من الأدب لم يبحث ولم توجه
إليه العناية اللازمة . وفي فجر الأدب الألماني القديم نجد أمثال (هليند) و (أوتفريد)

يحاولان معالجة مجموعة من المواضيع الشرقية ، وعند بزوغ فجر الآداب الألمانية الحديثة نجد (كلوشتوك) بلباسه القديم الذى جعله مسيحاً غير مقبول . وكتاب دانيال أصبح المثل الأعلى لسائر الآداب المنسوبة لغير مؤلفيها أعنى للوحى إلى (نبوءات لهنين) . و(جوته) شعف إبان طفولته وشبابه بالعهد القديم حتى عرف عنه فى ليزج ولعه بالحديث عن العهد القديم وفى عام ١٩١٢ تقدم (كونراد برداخ) يبحث إلى الأكاديمية البرلينية حول — فاوست وموسى — أثبت فيه أثر قصة موسى حتى تلك الواردة فى القرآن فى (فاوست) وهذا الأثر ملاحظ عند ظهور الله فى العليقة ، كما أن منظر الموت الوارد فى الفصل الثانى يشبه وصف وفاة موسى كما تذكره الكتب اليهودية المتأخرة . أما مدخل (فاوست) فقد أخذه (جوته) عن المسرح الهندى وسفر أيوب . أما فيما يتعلق بشاعر إيطاليا الخالد (دنتى) وتأثره بالشرق العربى والمصادر الإسلامية فقد عرض له المستشرق الإسبانى (ا. بالسيوس) ووفاه حقه .

والشئ الجدير بالذكر أيضاً أن كثيراً من القصص والأساطير المنتشرة فى الغرب يرجع إلى الشرق وخاصة الهند . ففى قصة (برلام ويوسف) مثلاً المنتشرة فى العالم المسيحى ، والتى تبشر فى ثوبها الحالى بالمسيحية ، وتدعو إلى النسك هندية الأصل . وهى تلخص فى أنه كان بأرض الهند ملك عظيم ، وكان حريصاً على الاحتفاظ بملكه فباعده بينه وبين رجال الأديان وعاش فى الوثنية . وكان له صديق يحبه ويحترمه فانقطع عنه مدة فسأل عنه الملك فأخبر أنه زهد فى الدنيا ولحق بالناسك . فأمر الملك بإحضاره ودار بين الاثنين حديث ظريف حول الفرد وحرية ، ومن ثم ينتقل الناسك من هذا الحديث إلى خبر اعتزاله الدنيا وتنسكه ، فيقول كيف أنه سمع فى حديثه أن الجاهل يحسب الأمر الذى هو الشئ لا شئ ، والأمر الذى لا شئ شيئاً ، وأن من لم يرفض الأمر الذى لا شئ لم ينل الأمر الذى هو الشئ . ومن لم ينظر الأمر الذى هو الشئ

لم تطب نفسه بترك الذى هو لاشىء . والشىء هو الآخرة ، والذى لاشىء هو الدنيا . ومع تقدم السن أدرك هذا الصديق أن حياة الدنيا موت ، وغناها فقر ، وفرحها حزن ، وشبعها جوع ، وصحتها سقم ، وقوتها ضعف ، وعزها ذل ، ولذتها ألم ، لأن الموت مصير الحى ، والحاجة ملازمة للغنى ، والدنيا مرصدة لكل من أصاب منها سروراً بأن يعقبه حزناً ... وبعد أن يعدد الناسك للملك مصائب الدهر ومتاعب الحياة يذكره بأن الدنيا هي صاحب الذى لا يؤمن جانبه ، وهي الطريق المهلك ، والسفينة الخلقية ، والبيت الكثير الأفاعى ، والجنان الزائدة الوحوش . الدنيا هي التى تعقد التاج على رأس الملك ثم تدفن رأسه فى التراب ، تحلى الأيدى بالذهب وتغلبها بالحديد . هذه هي الدنيا ، وأما الناس فاختلفهم على قدر تفاضلهم فى القوة فمنهم من هو كالأسد فى البطش ، ومنهم كالذئب فى الخطف ، ومنهم كالكلب فى الهرير تارة والبصبة تارة ، ومنهم كالثعلب فى الحيل والسرقة ، والقصد واحد والطرق مختلفة . ويختم هذا الحديث بين الناسك والملك بعبارة توضع على لسان الملك ملخصها أيها الحكيم إنك لم تبصر شيئاً ، ولم تظفر إلا بالشقاء العاجل والأمل الباطل والحرمان النازل فاخرج من مملكتى فإنك فاسد .

وبعد ذلك تنتقل القصة إلى الحديث عن ابن الملك وكيف أنه لما ولد له ، أمر والده بإحضار المنجمين والعلماء لعمل مولد له فذكروا أنهم قد وجدوا أن هذا المولود سيبلغ من علو المرتبة ما لم يبلغه ملك من ملوك الأرض ، وظن أحد العلماء أنه سيكون إماماً فى النسك فتغنص سرور الملك بالسلام ثم أمر فأخليت له مدينة وتخير لخدمته وتربيته الثقة الصونة ، وطلب إليهم ألا يذكروا فيما بينهم موتاً ولا آخرة ، ولا ديناً ، ولا نسكاً ، ولا زوالاً ولا معاداً . لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد فالملك غاضب حانق على الناسك لذلك يأمر بتشتيتهم والقضاء على من يتخلف منهم ، ويعمن فى

التضييق على ابنه الذى يضيق صدره بهذا الحصار ، ويدرك الملك أن هذا الحبس لا يزيده إلا إغراء ، وأمر الملك أصحابه أن يركبوا فى أحسن زى وينحوا عن طريقه كل منظر سوء ، ويحدث أن غفلوا عن رجلين من المتصدقين أحدهما مورم مرهل مصفر بشع المنظر شديد الأنين ، والآخرا عمى ينهش قائده لينحيه بسرعة من طريقه ، فلما رآهما ابن الملك اقشعر منهما ومضى محزوناً باغضاً للعيش مستخفاً بالملك . ثم رأى مرة شيخاً كبيراً قد أحناء الكبر وابيض شعره واسود لونه وقال ما هذا ؟ فقيل له : الهرم . فقال : وفى كم يبلغه المرء ؟ فقيل له : فى مائة سنة ونحوها : فقال وما وراء ذلك ؟ قيل له : الموت : فقال ما أسرع اليوم فى الشهر والشهر فى السنة والسنة فى العمر إن الأمر لغير ما نشغل به . فانصرفت نفسه عن الدنيا وشهواتها . واجتمع إلى رجل كان يأنس إليه فحدثه عن النسك والنسك فاشتهر أمر ابن الملك حتى بلغ خبره حكيم سرنديب واسمه (برلام) فقال لأخرجن هذا الحى من بين أولئك الموتى ، فلما وصل إلى المدينة التى فيها ابن الملك خلع لبس النسك ولبس لبس التجار ، ونجح فى الاتصال بابن الملك وأقنعه بوجوب الزهد فى الحياة . وعلم الملك بهذا الخبر فغضب غضباً شديداً . لكن لم يمض زمن طويل حتى اعتنق الملك ما استنكره بالأمس (١٤٧) .

هذه هى خلاصة القصة الهندية قبل أن تصل إلى أوروبا عن طريق العرب . وهى فى هذا القالب تخالف تلك المتداولة اليوم فى العالم المسيحى . وذلك لأنها أول ما انتقلت من الهند كان فى القرن السادس عندما ترجمت إلى الفهلوية أيام خسرو ، وعن الأخيرة نقلت إلى العربية فى النصف الثانى من القرن الثامن . ولم يكد يطلع القرن التاسع إلا واهتم المسيحيون بها وترجمت إلى اليونانية ترجمة تدعو إلى المسيحية وتبشر بالنسك . ومن ذلك الحين أخذ العلماء يترجمونها إلى مختلف اللغات متأثرين بالروح المسيحية . والشئ الجدير بالذكر أن قصة (برلام ويواسف) هذه التى عرفها

الغرب عن طريق الترجمة العربية القديمة عادت في العصور الوسطى إلى العربية ثانية لكن في ثوبها اليوناني أعنى هذا الثوب المسيحي ، وأصبحنا نجد في العربية نصين مختلفين لبرلام ويواسف .

كذلك القصص الخاصة بالحيوانات والتي كثيراً ما تتحدث عن الفرح والسرور أخذت في الواقع عن الشعوب التي تؤمن بفكرة التناسخ . وقصة القديس (هوبرتوس) حامى الصيادين نجدها في كثير من المصادر العربية التي عنت بالحيوان . وقد وفق الدكتور (سنجر) (١٤٨) عام ١٩١٨ إلى إرجاع كثير من القصص العربية إلى أصولها الشرقية في كتابه حول الشعر العربي والأوربي في العصور الوسطى . وفي هذا الكتاب نقرأ أيضاً كيف وفق المؤلف إلى ربط قصص (مسّاي) التي تتفق كما عرضها (هنز نومان) (١٤٩) مع (برسفال) وإذا كان مستشرقو أوربا يعترفون علانية أن حظهم من دراسة الملاحم الفارسية وقصص البطولة العربية قليل جداً أدر كنا أن النتائج التي وصلوا إليها خاصاً ما يتصل منها بشعر قصور ملوك وأمراء العصور الوسطى وإرجاعه إلى أصوله الشرقية توفيق عظيم (١٥٠) . أما قصة الشاعر الألماني (جلرت) المعروفة باسم (القدّر) فمأخوذة من قصيدة (جامي) (١٥١) المعروفة باسم (صحة الأبرار) والتي مطلعها :

حكايت

كفت روزى بمناجات كلیم کای جهاندار خداوند کریم
والموضوع الذي عاجله (شالر) في قصيدته (الطريق إلى المطرقة الحديدية)
والذي يلخص في القول المأثور من حفر بئراً لأخيه وقع فيها هندي الأصل (١٥٢) .

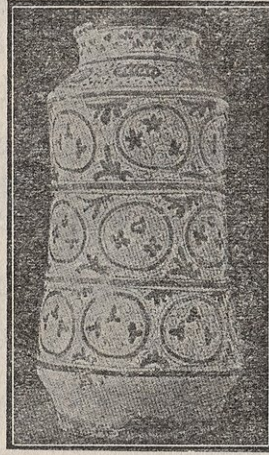
والرومنتيك

الألماني ترك أثراً بعيداً في العالم الخارجي أكثر من الفن الإمبراطوري القديم ، وذلك لأن الفن الرومنتيكي الألماني لم يتجه إلى العالم الكلاسيكي مستوحياً مثله العليا بل ولى وجهه شطر الشرق خاصة في العصور الوسطى . ولما وضع (فريدريش فون شليجل) كتابه الشهير عن حكمة الهنود ولغتهم فتح الأبواب التي كانت موصدة ، وعبد بذلك الطريق بين الشرق والغرب . وما يقال عن فون شليجل يقال أيضاً عن (ريكرت) الذي عرف الغرب بحكمة البراهمة وعقليتهم . وغير المواعظ والحكم والأمثال نجد كذلك القصص والشعر فالقطعة المعروفة باسم « الرجل في أرض السوربين » صادفت في ألمانيا قبولا حسناً كما أن المثل الأعلى للأنوثة الذي عرضه (ريكرت) للغرب مأخوذ عن أسطورة (مهابهارت سافترى) الهندية ، فهذه القطعة وغيرها قدمها (ريكرت) في أسلوب سهل ولغة رفيعة . وغير (ريكرت) نجد في ألمانيا الشاعر (أولند) واضع قصيدة (جليك فون أيدنهل) التي يعرض فيها للسعادة والحظ ، يعلق قيام السعادة على عدم كسر الكأس . وهذا العامل هو بعينه الذي نجده في (ياتكه) البوذية (١٥٣) . ثم قصة الضربة السوابية هي تلك التي نجدها في الصفحات الأولى من المخطوطة المعروفة باسم أخبار الدولة السلجوقية للسلطان مسعود بن محمود بن سيكنوجين الذي هرب من السلاجقة فتبعه عدد من الفرسان إلا أنه نصف أحدهم فهرب الباقيون (١٥٤) . وقد حاول نفر من علماء أوروبا منذ مائة عام بحث الآثار الأدبية التي تركها كتاب ألف ليلة وليلة على أدباء أوروبا وكتّابها فانتهوا إلى أن هذا الكتاب تغفل

إلى مسافات بعيدة جداً لا في الحياة الأدبية الأوربية فحسب بل في الفنية أيضاً .
 وضرب آخر من ضروب الأدب شاع وانتشر في العصور المتأخرة في أوربا
 ألا وهو هذا النوع من القصص المتصل بالحيوان والذي يتخذ الحيوان موضوعاً .
 فهذا اللون من الأدب شرق الأصل عرفه الشعر العربي الجاهلي قبل الأدب الأوربي
 بقرون ويكفي أن يشار هنا إلى لامية الشنفرى (١٥٥) التي يقول فيها :

وَأَعْدُوا عَلَى الْقُوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا	أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ
غَدَا طَاوِيَا يُمَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا	يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ	دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُهُ نُحْلُ
مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا	قِدَاحُ بَكْفِي يَاسِرٍ تَتَقَلَّعُلُ
أَوْ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَنَحَتْ دَرُّهُ	مَحَا بَيْضُ أَرْسَاهُنَّ سَامٍ مُعْسَلُ
مُهِرَّتُهُ فُوهُ كَأَنَّ شُدُوقَهَا	شُقُوقَ عِصَى كَلْحَاتٍ وَبُسْلُ
فَضَجَّ وَضَجَتْ بِالْبِرَاحِ كَأَنَّهَا	وَإِيَّاهُ نَوْحُ فَوْقَ عَلِيَاءِ تُكَلُّ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَى وَأَتَسَتْ بِهِ	مَرَامِيْلُ عَزَاهَا وَعَزَّتُهُ مُرْمِلُ
شَكَوْشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ	وَلَلَصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ
وَفَاءٌ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا	عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يُكَاثِمُ مُجْجِلُ
وَتَشْرَبُ أَسَارَى الْقَطَا الْكَدْرُ بَعْدَمَا	سَرَتْ قَرَبًا أَحْشَاوَهَا تَقْصَلُصُلُ
هَمَمْتُ وَهَمْتُ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ	وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطُ مَتَمَهْلُ
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ	يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونُ وَحَوْصَلُ
كَأَنَّ وَغَاها حَجَرَتِيَّةٍ وَحَوْلُهُ	أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ الْقَبَائِلِ نُزَلُ
تَوَافِينَ مِنْ شَقَى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا	كَأَنَّ ضَمَّ أَذْوَادِ الْأَصَارِيمِ مَنَهْلُ
فَقَبَّعَتْ غِشَّاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا	مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ إِحَاطَةِ مُجْجِلُ

ففي هذه الأبيات نقرأ هذا العرض الجميل للذئاب وصياحها ، والقطا وتحليتها
عند الشرب . وغير لامية العرب ، الكثرة المطلقة من الشعر العربي حيث نقرأ
وصف النياق أو حمر الوحش أو مناظر الصيد . وبينما نقرأ في شعرنا العربي هذا
الضرب الرفيع من ضروب الأدب ، إذ برجال العصر الكلاسيكي يضعون أنفسهم
في مستوى يعارض مستوى الشاعر الحقيقي الذي يجب عليه أن يستوحى سائر
الكائنات سواء كانت حيوانات أو نباتات . لقد أهمل شعراء أوربا الأولون
الحيوان فلم يعنوا به ، ولم يتنبه إليه شعراء الغرب إلا في العصور المتأخرة متأثرين
بالعرب والشعر الإسلامي . ولا يفوتنا أن نذكر هنا شخصية (حى بن يقظان) التي
عرفها العرب منذ زمن قديم (١٥٦) والتي هي صاحبة الفضل الحقيقي في نشأة مجموعة
القصص الغريبة المتأخرة والتي تنسب إلى (روبين صون) (١٥٧) .



أثر الشرق في الفن والتصوير، ورأيناه كمادة هامة لفريق من المصورين
والرسامين الأوربيين، والآن ينتقل المؤلف إلى الحديث عن الشرق وأثره
في الآداب الأوربية كمادة للكتاب والشعراء. وأول من عنى بالشرق من رجال
الأدب الغربيين فكتور هوجو في قصائده المعروفة باسم (أورينتال) وقد نقلها
إلى الألمانية (فرايليكرات) و (جيبيل) وقد اتهم أولها بالوقوع في بعض الأخطاء
لجهله بالشرق وشؤنه. ولكن هل اليونان الذين يصورهم (جوته) في شعره
هم يونانيون حقيقيون وأليست قطع (جوته) الخالدة التي عالج فيها المسائل اليونانية
أمثال (افيجنيا) أبعد ما تكون عن اليونان كما وصفها (شلر)؟ وهل يستحسن
أن تكون الصورة التي يعرضها الشاعر أو الأديب كتلك التي تلتقطها عدسة
المصور؟ وغير أولئك النفر الذين سبقت الإشارة إليهم نجد أمثال (مريه) و (فون فيسنتي)
و (البارون سوتنر) و (ميلنا بريندلز برجر مرزوفى) و (أندريس) وغيرهم الذين
عنوا خاصة بالنفس الشرقية والشرق. كما أدرك (جويلروب) فهم وجهة نظر الهنود
في الحياة كما يتجلى لنا ذلك في مؤلفيه العظيمين (بلجر كامانيتا) و (فلتندندر).
وشعر ألمانيا العاطفي كان إبان النهضة الكنسية الغنائية متأثراً بالمزامير العبرية.
وكثيرون من الشعراء الذين تفرغوا لهذا النوع من الشعر العاطفي في ألمانيا ما زال
شعرهم حتى اليوم واقفاً تحت هذا التأثير وهو يكون جزءاً هاماً من الأدب الشعبي
الألماني. وكل فرد عنده شيء من الاستعداد لإدراك الحقائق التاريخية يقرر أنه من
المستبعد جداً أن أدباً عبرياً سامياً يمتد إلى الفينيقية مثلاً لغة وأدباً بصلة قرابة قوية

استطاع أن يلعب هذا الدور المستقل غير متأثر بالآداب السامية الأخرى التي عاش في كنفها . فمنذ معرفتنا بوجود مزامير التوبة البابلية ونحن نكاد نجزم أن كتاب الأغاني اليهودي الذي كان للجماعة اليهودية بعد السبي نشأ كما يعتقد (فلهوزن) إبان السبي وتحت التأثير البابلي لذلك يجب أن يسلم بأن فن الشعر البابلي ما زال إلى اليوم حياً في الشعر الألماني . وتوصل جماعة من العلماء إلى إثبات أن غزل الفروسية الذي كان منتشرًا في العصور الوسطى بألمانيا متأثر تأثراً كبيراً بغزل الفرسان الفرنسيين الذي كان منتشرًا في بعض أجزاء فرنسا والمعروف باسم شعر التروبادور . ويقرر أمثال (برداخ) و (سنجر) أن هذا الضرب الأخير من ضروب الغزل أخذ في الواقع عن الغزل العربي . فالشرق والغرب يتفقان في هذه الظاهرة ، والعامل المشترك بينهما الإشادة بالمرأة وجمالها ، وبينما هذه الإشادة شرف للمرأة الغربية إذ بها عار كبير لأختها الشرقية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نجد في القرن التاسع عشر زعيم الغزلين الشرقيين (حافظ) شيرازي يغزو أوروبا بغزلياته عن طريق شاعر ألمانيا (جوته) الذي وضع كثيراً من القصائد التي تدور حول الغناء ، والعشق ، والحكمة والأمثال ، والشرب ، ومواضيع أخرى . وجع الشاعر القصائد ذات الموضوع الواحد في كتاب خاص فهناك (مغنى نامه) و (حافظ نامه) و (عشق نامه) و (تفكير نامه) و (حكمت نامه) و (تيمور نامه) و (زليخا نامه) و (ساقى نامه) و (مثل نامه) و (خلد نامه) وغيرها من الكتب التي يطلق (جوته) عليها (الديوان الغربي الشرقي) . وغير (جوته) نجد الشاعر الألماني (بودنشتت) الذي نشر (مرزا شافع) أكثر من مائة مرة . وقد تركت هذه الشاعرية الشرقية الغرامية أثراً قوياً جداً في شعر الغرب وغزلياته .

وغير الشعر الإسلامي نجد في شعر (جوته) أيضاً أثراً للأدب الصيني (١٥٨)

كما وجد إليه الأدب العبرى طريقه . وقد عالج الموضوع الأخير العالم (فكتور هين)
في بحثه عن (جوته) ولغة الكتاب المقدس (١٥٩) . فقد جاء في هذا البحث القيم
كثير من الشواهد التى تبين عظم هذا الأثر اكتفى هنا بذكر أمثلة منها :
لا تنزع عنى ثوبى الأبيض .
لأسترح هناك قليلا .

فهذه الصورة مأخوذة من رؤيا يوحنا الإصحاح السادس الآية الحادية عشرة
حيث جاء : فأعطوا ثياباً بيضاً وقيل لهم استريحوا قليلا .
كذلك قول (جوته) :

آه الذى يحبنى ويعرفنى بعينى ——— د عنى
نجدته فى سفر أيوب ص ١٦ آية ١٩ حيث جاء : —
الذى يعرفنى فى الأعلى لا يــــرى أبداً

والشئ الجدير بالملاحظة أيضاً فى الشعر العاطفى الأوربى اهتمامه بالقافية ، فنحن
نعلم أن الشعر الكلاسيكى لم يوجه إلى القافية عناية تذكر بخلاف الحال فى الشعر العربى
منذ أقدم عصوره . فهذه الظاهرة جعلت كثيرين من رجال الأدب يميلون إلى الاعتقاد
أن القافية جاءت أوربا عن طريق الشرق . وهذا رأى هو الذى دفع بعض المتعصبين
المتعنتين من رجال الغرب أمثال (فيلا موفيتس) إلى محاربة القافية فى الشعر محتجاً
بعدم ورودها فى الشعر الكلاسيكى من ناحية ، وشيوعها لدرجة عدم الاستثانة
من ناحية أخرى (١٦٠) . والواقع أن القافية هى التى تخلق هذا الأثر القوى فى شعر
(جوته) الوجدانى ، والقافية أيضاً هى صاحبة الفضل الأول فى إيجاد هذه الموسيقى
الشعرية الجميلة التى نسمعها فى شعر (بلاتن) ونثر (ستيفن جورج) وغيرهما من أعلام
وفطاحل اللغة وأئمة الشعر . ولولا هذه القافية لتلاشى علم النغم والصوت والجرس .

ولكى ندرك الفرق بين الكلام المتقن والمرسل يكفي أن نجرد مثلاً بعض أبيات الشاعر (بلاتن) من قوافيها ونعالجها في بحر (الهكسامتر) الطويل الممل ، وعندئذ فقط نستطيع إدراك التقدم العظيم الذي بلغه الشعر بفضل استخدام القافية . ومهما حاول أنصار المدرسة الكلاسيكية محاربة القافية فلن يكتب لهم التوفيق ، ونظرة إلى الشعر الجرمانى القديم تكفى إلى الاهتداء إلى هذه المحاولات الأولية التى حاولها الشعراء المتقدمون عندما استخدموا القافية كوصلة صوتية لا بد منها مما يؤيد شعور المتقدمين بالنقص ومحاولتهم إتمامه . ولا نذهب بعيداً ونقرر أن حتى أنصار الشعر الكلاسيكى إذا ما حاولوا اليوم التعبير عن آرائهم وعواطفهم بألفاظ قوية وعبارات رصينة لجأوا إلى السجع والقافية ، بخلاف استخدام هذه العبارات المرسلة التى نجدها فى وزن (هكسامتر) مثلاً . فقد أضر هذا البحر بالأدب الألمانى ضرراً بليغاً، فلو قدر لشاعر ألمانى (جوته) أن يضع قصته (هرمن ودروتيه) نثراً لصادفت من قلوب قراء الأدب الألمانى قبولا حسناً بخلاف هذا النوع من الإعراض الذى يتلقاها به قراؤها فى أسلوبها الهكسامترى الطويل الممل . ومن حسن الحظ أن عنى بعض شعراء وكتاب الألمانية فى العصر القديم بضرب من ضروب القافية فسموا باللغة وهذبوها ، فتقنوا جرسها ، ونمقوا صوتها .

القافية التي قد يختلف بعض العلماء في وطنها الأصلي نجد أثراً أدبياً آخر يغزو
وغیر الأدب الأوربي في العصور الوسطى ، وهو هذا الضرب من فنون الشعر
الذى انتشر بين طبقات الشعب المختلفة ، وشغل من أدبها المكان الأول ، أغنى الزجل .
فهذا الفن من فنون الشعر السبعة التى نشأت فيما بعد فى الأدب العربى مختلف
فى وطنه كما اختلف العلماء أيضاً حول الوطن الأصلي للمواليا ، فهناك رواية تذكر
بغداد ومخترعته جارية عاشت أيام هرون الرشيد ، ورواية أخرى يفهم منها ضمناً أن وطنه
بلاد المغرب ، واخترعه رجل يقال له راشد ، وقيل أبو بكر قرمان . ويذكر ابن خلدون
أن هذا الفن ظهر فى الأندلس وأنه من مستحدثات أهلها ، وأن أول من أبدع فيه
أبو بكر قرمان وإن كانت الأزجال قد قيلت قبله . وعلى كل حال فهذا الفن من الشعر
بإجماع جميع الروايات أئبع وكثر فى الأندلس دون سائر الأقطار الإسلامية . وهذا
الضرب من فنون الشعر العربى يمتاز بصدق تمثيله لنفسية الإنسان وخواطره ، وقد ظهر
بعد أن مهد له شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين بشعرهم الغزلى الذى شادوا فيه
بالمرأة وجمالها . هذه المرأة التى احتلت من شعرهم المكان الأول ، حتى إن الشاعر
العربى ليستهل قصيدته أو حويلته بالغزل . هذه النفسية العربية بعينها التى جعلت
العربى قبل غيره يعترف بأثر المرأة ومكانتها فى حياته الأدبية أو الاجتماعية اضطرت
الشعر العربى إلى الإفصاح والتعبير عما يحول بخاطر الشاعر ، وهذه الظاهرة لم تظهر
فى أوربا إلا بعد أن احتكت بالعرب فى الأندلس وصقلية والحروب الصليبية .
وقد انتشر هذا الفن فى جنوب فرنسا حيث نجد جماعة التروبادور ، ومن ثم يشق

هذا الفن طريقه إلى مختلف الممالك الأوروبية خاصة إيطاليا ، كما أشار إلى ذلك العلامة
الألماني (جراف شك) وأثبتته (١٦١) .



تتويج العذراء

والآلة
ننتقل إلى المسرح ونلقى بنظرة على الأدب المسرحى الذى استعار الكثير من الكتاب المقدس والشرق . فعند (فولتير) نجد الأصل الصينى فى (يتيم الصين) كما نجد فى (تورندوت) لشيللر الأثر الفارسى حيث اقتبست المادة من كتاب ألف يوم ويوم (١٦٢) . ومن الثابت أيضاً أن المسرح الأوروبى تأثر فى القرن الثامن عشر بالفن الصينى فأخذ عنه النوع الغنائى التمثيلى المعروف بالأوبريت . فلولا الصين ما استطاع هذا الفن أن يبلغ ما بلغه فى أوروبا ، وقد عرض لهذا الأثر الصينى العالم (ريشفين) فى كتابه السالف الذكر وقال : إنه من الصعب جداً أن يبلغ فى هذا الأثر : وعن الصين أيضاً أخذت أوروبا الفن المسرحى المعروف بالظل الصينى الذى استغلته جماعة الرومانتيكيين فى ميونخ التى كانت تمثل ألعاب خيال الظل السوادية وتعنى بإخراجها ، ومن ثم أخذت تسعى وتعمل جاهدة لترقيتها (١٦٣) . وعن اليابان جاء فى القرن التاسع عشر المسرح المتحرك الذى اخترعه عام ١٧٦٠ م (نيمكى شوزوس) ولم تعرفه مدينة ميونخ إلا فى السنوات الأخيرة فقط . وفائدة هذا المسرح أنه يقضى على أوقات الفراغ التى كانت تقطع سلسلة تفكير الزوار الذين ينتهزون فرصة تغيير مناظر المسرح وينصرفون إلى مختلف الأحاديث التى قد لا تتصل بموضوع المسرحية .

وأخذ الغرب عن الشرق أيضاً كثيراً من العادات والتقاليد التي تجري في حياته اليومية من وسائل تسلية وخرافات (١٦٤) فلعبة الشطرنج التي ينصرف إليها لاعبان وينسيان العالم الخارجي لعبة شرقية ، وقد ذكر (هابرلندت) (١٦٥) أن فرسان العصور الوسطى كانوا إذا ما جلسوا يلعبون الشطرنج ، أقرب إلى (هركوليس) أمام آلة الغزل من أي شخص آخر ، وذلك لأن هؤلاء الفرسان كانوا لا ينتهون من لعبة إلا ويقذفون بعضهم بالشخص . أما الوطن الأصلي لهذه اللعبة فبلاد الهند كما يدل على ذلك اسمها ويتبين من خصائصها . فالعالم الإسلامي يطلق عليها (شطرنج) وهو اسم مشتق من السنسكريتية (شطورنجا) أعني أربعة أقسام ، أي جيش . وفي النص الفهلوي (مادهيجن شطرنج) (١٦٦) نقرأ خبراً عن الملك الهندي (ديوسرم) الذي أرسل إلى كسرى أنوشروان هذه اللعبة مكونة من ستة عشر شخصاً من الزمرد ومثل هذا العدد من الياقوت . ولعل أقدم إشارة عربية إلى هذه اللعبة قول ابن المعتز .

وحيطان كشطرنج صفوف فما تنفك تضرب شاه ماتا

ويذكر اليعقوبي في تاريخه (ج ١ ص ١٠٣ طبع أوربا) :

فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم (يقصد حكماء الهند) يقال له — قفلان — وكان ذا حكمة وفطنة ورأى ، فذكروا ذلك له فقال : أنظروني ثلاثاً : ففعلوا ذلك . وخلا مفكراً ثم قال لتلميذه : أحضرنى نجاراً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود : فصور صورة الشطرنج وأمر النجار فنجزها ، ثم قال له أحضرنى جلداً مدبوغاً : فأمره أن يخط فيه أربعة وستين بيتاً ، ففعل ذلك فنصب ناحية ثم تجاوزها حتى فهمها

فأحكمها ، ثم قال لتلميذه : هذه حرب بلا ذهاب أنفس : ثم حضره أهل المملكة فأخرجها لهم فلما رأوها علموا أنها حكمة لا يهتدى لها أحد . . إلخ

وغير الشطرنج أخذت أوربا عن الشرق (القرق) و (الدام) (١٦٧) ، لكن الشيء الجدير بالملاحظة أن المسعودى فى مروج الذهب (ج ١ ص ١٥٩ طبع باريس) يحاول إيجاد علاقة بين الشطرنج والفلك ، فهو يقول عند حديثه عن ملوك الهند : إن فى أيام الملك (بلهت) صنعت الشطرنج ، وجعلها مصورة تماثيل متكلمة على صورة الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق ، وأقام لذلك أمثالا للأجسام العلوية التى هى الأجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر ، وأفرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة . وليس المسعودى هو الوحيد الذى يذكر هذا رأى فاليريونى يقره أيضاً ووردت إشارتان فى الكتاب الثانى من بستان سعدى يفهم منهما أن فى القرن الثالث عشر كان يجوز ترقية الفلاح (العسكرى) الذى يبلغ صف العدو الخلفى إلى وزير (عند الغرب ملكة) (١٦٨) كما نقرأ فى نفس المصدر ما يفيد أن اللاعب الماهر قد يتنازل عن بعض شخوصه لخصمه الضعيف (١٦٩) . أما إباحة انتقال الملك إلى البيت الثانى بعد بيته يميناً أو يساراً وقفز الطايبية على الملك أشار إليه حافظ (١٧٠) . أما كلمة (شخ Schach) ففارسية الأصل وهى (شاه) معناها (ملك) وكلمة (مات) التى تستعمل فى ألمانيا فى عبارة (شخ مات) فهى العربية (مات) وقد ورد ذكر هذا الاصطلاح مرتين فى تاريخ اليعقوبى ص ١٠٣ حيث نقرأ (شاه مات) . أما الشخص الذى يطلق عليه فى ألمانيا (ملكة) فهو فى الشرق الوزير وذلك لأن الملكة الشرقية لا تنتقل بحرية بين الرجال كما هو الحال مع ملكة الشطرنج ، أما الاسم القديم فى أوربا للطايبية فهو الذى مازلنا نجده فى الفرنسية (روك Roc) وفى الكلمة الألمانية (روشيرن rochieren) وهو اسم الطائر العظيم المعروف باسم (رخ) ويقال إن بيضه قد وجد فى مدغشقر .

الشطرنج اللعبة المعروفة باسم (قفز الحصان) فهي أيضاً هندية الأصل
وصل (١٧١) . ومن الشرق كذلك جاءت لعبة الدام والطاولة وألعاب

أخرى . ويعتقد (جوستاف شليجل) (١٧٢) أن لعبة الدام عرفت في الصين منذ زمن
قديم جداً ، ويحاول هذا الباحث أن يثبت أنها ترجع هناك إلى الألف الثالث
ق . م . وهذا رأى فيه نظر ، وهو يذكر أيضاً أن هذه اللعبة وجدت في (باكينج)
تحت شجيرة ليمون على قبر الملك (مو) من أسرة (تشي) (١٠٠١ — ٩٤٧)
ق . م . وذلك في حفرة صخرية . ويعتقد أيضاً أن هذه اللعبة كانت في الأصل
فلكية حتى قيل إن الشخص الذى يجيد حساب النجوم ومجارى الأفلاك يتقن
هذه اللعبة وينبغ فيها . أما لعبة الطاولة فمتصلة بالطاولة التركية والنرد الفارسية اتصالاً
قوياً كما أشار إلى ذلك جورج يعقوب في مقدمة الجزء الخامس عشر من مطبوعات
المكتبة التركية التى كان يتولى هو إصدارها . وتتبع (همل) تاريخ هذه اللعبة
ونشأتها فانهى به البحث إلى أن وطنها الأصلي بلاد الصين (١٧٣) . أما اللعبة المنتشرة
في ألمانيا والمعروفة باسم (كريس) أو (بونين شيل) فقد أثبت أخيراً راعى
الكنيسة (فريتزيان) مدير (زيلهوفر) أنها ترجع إلى بلاد فارس (١٧٤) . وكان
قد أرسلها الشاه من مائة عام مضت إلى القيصرية كاترين كما أرسلت إلى (كريس)
مجموعة أخرى منها ، وهناك استطاع (فريتزيان) مشاهدتها عند البارون
فون شتخلبرج . وكان ذلك عام ١٩٠٨ . وقال (يان) أيضاً إنه في نفس الوقت
أخذت اللعبة الصينية المعروفة باسم (دومينو ماتسوباي) أو (مايهونج) تغزو العالم .

أما لعبة رأس السنة المعروفة في بروسيا الشرقية باسم (كليك أوند سيكن) فترجع إلى علم الفلك كما كان معروفاً في العصور الوسطى . أما الاسم الروماني القديم لهذه اللعبة فهو (نوب) فقد استعمل في إسبانيا في القرن الرابع عشر وأرجعه جورج يعقوب إلى الكلمة العربية (لعب) (١٧٥) . وفيما يتعلق بإبدال الحروف العربية في الإسبانية يرجع إلى اسم المدينة الإسبانية (نيبلا) فهي في العربية (ليبلا) كذلك الكلمة العربية (ليمون) فهي في البابلية (نيمون) . وفي العربية (لقب) أصبح (نقب) هكذا ذكر (سنوك هورجرونيه) في الكتاب الذي قدم لجولد زيهر . ويذكر (ي . ي . هس) أن كلمة (نيجف) عند عتيبة هي (نجف) عند أولاد علي ويعتقد (نولدكه) أن اللعبة الواردة في قول عمرو بن كلثوم :

كَأَنَّ سَيْوْفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

تقرب من اللعبة الألمانية المعروفة باسم (بلومبساك) . وذكر ابن الفقيه (القرن العاشر) ص ٦٦ ما يؤيد هذا . وفيما يتصل بالعبة العربية فقد ذكرها (ت . كوفالسكي) في طبعته لقيس بن الخطيم ص ٣٠ — ٣١ كما عرض الشاعر التركي محمد توفيق تحت عنوان (حلوه صحبت) للعبة المنتشرة في تركيا والمعروفة باسم (تورا) وما هي إلا لعبة (بلومبساك) الألمانية . أما لعبة (فيشرستيشن) الشعبية والمنتشرة في إقليم الازناس فمصرية قديمة ، وقد عرفها الشعب المصري في عصر الدولة القديمة (١٧٦) . والطائرات المصنوعة من الورق كلعب للأطفال صينية الأصل اخترعها الصيني (هن سين) (١٧٧) . عام ٢٠٢ ق . م . وهذه اللعبة في الصين أجل منها في أوروبا . فالصينيون يعنون بها عناية عظيمة ، فهم يقلدون الحيوانات والزهور ، وأحياناً تصنع على أن تخرج منها بعض النغمات الموسيقية بمجرد تعرضها للهواء في طبقات الجو المختلفة (١٧٨) . ومن الصين انتقلت حسب بعض الآراء

الشعبية إلى (كمبودشا) (١٧٩) . وكما أن هذه اللعبة هي تسلية الكبار (١٨٠)
والصغار في الشرق الأقصى كذلك الحال في تركيا حيث يطلق عليها الأتراك اسم
(كرتل) وقد انتقلت إلى أوروبا في النصف الثاني من القرن السابع عشر (١٨١)
عندما أخذت أوروبا تهتم بالصين ، والأسماء التي أطلقت عليها في بعض الممالك الأوربية
مثل الفرنسية (سرف فيولنت) أي الخنزير الطائر أو في الإنجليزية (كيت) أي حداة
تدلنا على نوع الحيوان أو الطائر الذي كانت تصوره هذه اللعبة في الصين وقت استعارة
أوروبا لها . ويرجع العالم الموسيقى (كورت سكس) الآلة الموسيقية المعروفة باسم
(بروم توفل) أو (فلد توفل) المنتشرة في بروسيا الشرقية والتي تعزف عادة
في رأس السنة إلى أصل هندي (١٨٢) .

والمصارعة المعروفة باسم (يويتسو) والتي انتشرت في ألمانيا عقب انتصار اليابان
ترجع في الواقع إلى اليابان التي كانت معروفة فيها منذ منتصف القرن السابع عشر
(١٨٣) .

ولور تحريم الإسلام للخمر ما انتشرت القهوة في العالم الإسلامي وانتقلت إلى أوروبا وقضت في ألمانيا على مشروب الألمان القديم (البوظة المعروفة باسم هرزبراي) واللفظة العربية القديمة (قهوة) تدل أصلاً على النبيذ، ومن ثم تطور معناها مع الزمن عندما قضت على النبيذ وحلت محله. وأول مقهى أسس كان في القسطنطينية أسسه سوريان عام ٩٦٢هـ/١٥٥٤/١٥٥٥م تحت القلعة (١٨٤) وكتب (روفولف) عام ١٥٨٣ م متعجباً من هذا الشراب الأسود عند الأتراك فقال وجرت العادة في كل صباح وفي الأماكن العامة أن يجلس القوم وأمام كل فرد إناء فخاري أو صيني عميق وبداخله هذا الشراب الأسود الذي يشربونه ساخناً. كذلك الجزء الثاني من كلمة (كفيون) أعني (بون) هو تحوير شعبي للفظ العربية (بن) والتسمية القديمة التي أطلقت على شجيرة البن كما نجدها في المراجع الأوربية القديمة هي (أربور بن كم فركتوس سوبرنا) ومنها أن لفظ (بون) لا علاقة له بالبتة بالكلمة الألمانية (بون فابا) أما (مكا) والصواب (مخا) فهو اسم الميناء التي اشتهرت قديماً بتصدير البن، وفي الشرق يطحن البن طحنًا ناعماً جداً وبعد ذلك تحضر منه القهوة دون وضع لبن عليها، وغالباً بدون سكر، وإذا استعمل فقليل. والقهوة إلى جانب كونها شراب منبه جداً وضروري في الشرق الحار المنيم فهي مغذية أيضاً وتدل إحصائية عام ١٩١٨ التي عملت في ألمانيا على أن عدد شاربي القهوة من الألمان أكثر من شاربي الجعة أو الكونياك (١٨٥).

ومنافس القهوة هو الشاي وقد أرسلته الصين إلى أوروبا في القرن السابع عشر

ويؤيد ذلك أن اسمه مكون من مقطع واحد أما اختلاف اسمه بين الهولنديين (تيه) والانجليز (تى) فيرجع إلى اختلاف في لهجتين صينيتين . فالهولنديون أخذوا الشاي من فرموزا . أما ألمانيا فقد عرفت عن طريق الهولندى (توليوس) وقد كان طبيب أميرها الخاص ، وكان هذا الطبيب مولعاً بشرب الشاي (١٨٦) . وقد أثر هذا المشروب ذو الرائحة الطيبة في الثقافة والمجتمع والاقتصاد والعلاقة بين الشرق والغرب تأثيراً بليغاً . وفي القرن السابع عشر نجد في اليابان جماعات لشرب الشاي تعرف باسم (شانويو) وكانت هذه الجماعات اليابانية تقوم بنفس الدور الذى تقوم به مثيلاتها في أوربا الآن ويجب ألا ننسى الشاي وضريبة استيراده التى دفعت أميركا إلى إعلان الحرب ضد انجلترا والحصول على استقلالها (١٨٧) .

والاسم التركى القديم للبن المتجمد الذى كان شائعاً بين القبائل البدوية منهم والذى ما زال إلى اليوم الطعام المحبوب عند الأتراك العثمانيين أعنى (يوغرت) عرفه الرحالة الغربيون الذين سافروا إلى الشرق ، وقد استوطن الطعام واسمه أوربا وهو غذاء لذيذ الطعم خال من المواد الكحولية لذلك اشتهر وذاع أمره . ويستخدم الترك عادة لبن الجاموس لتحضيره كما أن العنصر الأساسى اللازم لهذه العملية هو الذى اكتشف عام ١٩٠٦ واسمه باسيلوس بلغاريكوس (١٨٨) ، وأقدم نص جاء فيه ذكر هذا النوع من اللبن هو ذاك الذى نجده عند (كمفر) فى مؤلفه (امونيتاس كروتىكا) حيث قال ما معناه : إن اليوغرت فى التركية معناه لبن متجمد مقبول الطعم وفى الفارسية (مست) وفى بتافيا الهندية (تير) .

والشراب الفرنسى الوطنى المسمى (ابزنت) جزأرى الأصل ، وهو يستخدم لتحسين طعم الماء الرديء . ويعتقد (نولدكه) أن اللفظ جاء من الفارسية (١٨٩) . أما الشراب المعروف باسم (عرق) فعربى التسمية (١٩٠) ، والشراب المعروف

باسم (بنج) فارسي الأصل فلفظ (بُنش) في الألمانية ما هو إلا اللفظ الفارسي الدال على العدد خمسة (١٩١) وذلك لأن هذا الشراب يعمل في الهند من خمس مواد (عرق ، سكر ، عصير الليمون ، توابل ، ماء) وقد أخطأ الشاعر (شلر) في قصيدته (أغنية البنج) فذكر أربعة عناصر فقط ونسى التوابل . وأقدم نص جاءنا هو الوارد في (هوبسون يوبسون) (١٩٢) . أما الجعة فأصحابها هم المصريون ، وكانت شرابهم المحبوب فقد صنعها قدماء المصريين منذ عصور قديمة جداً ويستطيع العلماء أن يفرقوا أيام الدولة القديمة بين أربعة أنواع منها الجعة السوداء (١٩٣) ويعتقد (هورزني) (١٩٤) أن الجعة البابلية أقدم من المصرية ، ويرجح أن بابل عرفت في وقت لن يكون أحدث من عام ٢٨٠٠ ق . م . وعن الشرق انتقل هذا الشراب وصناعته إلى الغرب . كذلك اللفظ الدال على النبيذ في اليونانية واللاتينية ساقى الأصل والرومان هم الذين قاموا بنشره كما نشروا الشراب وإن كان قد بولغ في تقدير مجهود الرومان في هذا الميدان ، وذلك لأن العنب كما يعرف من تقارير النورمانديين كان موجوداً في حوض الرين قبل تأسيس روما بزمن طويل ثم أن أجود أنواع العنب الألماني مثل (يوهنيسبرجر) لم يدخله الرومان بل عرفته ألمانيا في العصور الوسطى عن طريق الأديرة التي أخذته عن بلاد الشام .

أما الزهرة البيضاء ذات الرائحة الطيبة والتي تدخل إلى النفس الفرح والسرور والتي تنتجها الحبة المعروفة باسم الحنطة السوداء وتغطي مساحات رملية واسعة تتغذى من رحيقها جماعات كبيرة من النحل فأصلها من منشوريا ، وقد جاء بها المغول إبان فتوحاتهم العظيمة . وإذا تنقل الرجل الأوربي الشمالى إلى إيطاليا ليمتع نفسه بطبيعتها الجميلة ومناخها المعتدل فأول نخلة يلقاها هي واحدة من نخيل شاطئ الريفيرا وكل هذا النخيل يرجع إلى تلك النخلة التي أمر عبد الرحمن الأول بإحضارها في القرن الثامن الميلادي من الشام إلى إسبانيا وأنشد فيها أغنيته المشهورة التي جاء فيها :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهى في التغرب والنوى وطول التنائى عن بنى وعن أهلى

أما السكر ووطنه فيرجعان إلى الأقاليم الشرقية الآرية فاللفظ الدال على معنى سكر في السنسكريتية هو — كهندا — ومنها نجد في الإيطالية — كنديرى — أى يغطى بالسكر ومنها اشتقت لفظة — كنديتور — أى صانع الحلوى . أما صناعة السكر فيرجع الفضل فيها للعرب ، فالعرب هم الذين جاءوا بالقصب إلى إسبانيا ويظهر أن إقليم البنغال هو وطنه الأصلي وإن كان (فون ليهان) يعتقد أن القصب البرى لا يمكن التأكد منه (١٩٥) ومن وطنه الأصلي ، ويذكر جورج يعقوب أن زميله (تشلر) أخبره أن النوع المعروف باسم (زخاروم سبونتارم) هو القصب البرى . أما صناعة السكر فقد اهتم بها الشرق منذ عصور قديمة جداً كما يرجح أن مدينة البندقية لعبت دور الوسيط بين الشرق والغرب . والكلمة المعروفة باسم (مرتسيان) ليست مركبة

من (مرتسى وباتيس) أى (خبز مرقس) ، وهى أيضاً ليست الكلمة الفارسية (مرزبان) كما ظن آخرون بل هى عبارة عن الكلمة العربية (موثبان) أى (الملك أو الأمير إذا قعد ولم يخرج للغزو) وقد قال بهذا رأى (كليب) (١٩٦) أما حرف (ر) الذى نجده فى اللفظة المنتشرة فى أوربا فقد دخل الكلمة عن طريق الإيطاليين . ومادة (وثب) تدل فى العربية الشمالية على معنى قفز وفى العربية الجنوبية نجد المعنى السامى القديم (جلس) وفى هذا المعنى تستعمل الكلمة أيضاً فى العبرية ، ويتندر العرب كثيراً عن الحوادث التى وقعت من جراء الاختلاف فى فهم هذه الكلمة ، فقد روى أن (زيد بن عبد الله بن دارم) وفد على بعض ملوك حمير فألقاه فى مُتَصَيِّدٍ له على جبل مُشْرِفٍ فسلم عليه وانتسب له ، فقال له الملك « ثب » أى أجلس ، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال « لتجدنى أيها الملك مطوّعاً » ثم وثب من الجبل فهلك ، فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه فى الكلمة ، فقال : « أما أنه ليست عندنا عربيت : من دخل طَفَارَ حَمَرٍ ^(١) : ويعتقد أيضاً أن العرب أطلقوا هذه التسمية على العملة البيزنطية لوجود صورة المسيح جالساً عليها واستعمله الشرقيون القاطنون على شاطئ البحر الأبيض المتوسط فيما بعد للدلالة على مكيال خاص ثم للتعبير عن صندوق ذى حجم خاص . وفيما يتصل بالخضراوات ، فالسبانخ دخلت أوربا من فارس عن طريق العرب بإسبانيا ، واللفظ (ارتيشوك) فى الألمانية أو الإنجليزية والفرنسية (ارتيشوت) والإيطالية (ارتيشو) والإسبانية (الكرشوبا) هو فى العربية (الخرشوف) كذلك الأكلة الألمانية الشعبية المعروفة باسم (زور كروت) (١٩٧) جاءت عن الصقلية فى العصور الوسطى ويرجح أنها أكلة شرقية . أما الوطن الأصلي لأهم التوابل فالشرق وما زال كثير من هذه التوابل المستعملة فى أوربا يحمل اسمها الشرقى مثل (بفيفر) .

(١) الصاحبى لابن قارس ص ٢٢

ويليس أثر الشرق أيضاً في حدائق أوروبا وحقوقها وطرقها وشوارعها حيث تقوم على جوانبها أشجار الكستناء البرية ، وفي الخريف تخرج ثمارها الوضاعة الجميلة ، فقد جلب هذه الشجرة وغيرها من مختلف الأشجار والأزهار الأتراك عند تقدمهم من آسيا إلى أوروبا ، وذلك أنه حدث أن مروا بكثير من الأقاليم الفارسية فأخذوا منها كثيراً من الزهور التي قوت في نفوس الأتراك حب الحدائق والغرام بتنسيقها ، وذلك لأن شهرة الفرس بهذا الضرب من الفنون قديمة جداً أشار إليها اليونان في سياق الحديث عن الأزهار والعناية بها . ولم تأخذ أوروبا عن الأتراك الغرام بالأزهار وتنسيق الحدائق والعناية بها فحسب ، بل الرغبة في الزخرفة والتنسيق خاصة بالزرنخت والياسمين والشقائق وغيرها . وفي القرن السابع عشر نجد الهولنديين يولعون بهذه الزهرة حتى كانوا يتسابقون إلى دفع المبالغ العظيمة في سبيل الحصول على أندر الأنواع وأجملها كما كان الحال أيضاً في القرن الذهبي بتركيا ، فالمؤرخ التركي المعاصر أحمد رفيق ألف كتاباً أسماه (Lale sefaheti) تحدث فيه عن الشقائق والمغامرة في سبيلها ، فقد وصف الشاعر في كتابه هذا معتمداً على المراجع القديمة التي كانت تحت تصرفه ولع العثمانيين وجنودهم في سبيل اقتناء هذه الزهرة ، أما لفظة (تولب tulipe) فهي الفارسية (دليند) ومنها اشتقت كلمة (تربان turban) . ومن الزهور الأخرى التي أخذتها أوروبا عن الشرق أجمل وأحسن أنواع الورود ، فالوردة الدمشقية جلبها الصليبيون من دمشق إلى فرنسا ، ومنها انتشرت في أوروبا وقد ارتفعت قيمتها في ألمانيا لاستخراج زيتها (١٩٨) ، أما بصيالات الزهرة المعروفة باسم

— كيزركرون — أو — في فريتيلا ريا امبريا ليس — فقد انتقلت في منتصف القرن السادس عشر من فارس إلى القسطنطينية ومن هناك إلى حدائق القيصر في فينا ومن ثم إلى سائر أجزاء أوروبا ، ويذكر (شومان) و (جلج) في كتابهما عن مملكة النباتات أن حدثاً جديداً طرأ على زراعة الورد واقتنائه بإدخال الأنواع الغريبة الجميلة التي تنبت في شرق آسيا والتي تنحدر في الأصل من الوردة المعروفة باسم الوردة الهندية (روزا أنديكا) فعن طريقها عرفت ألمانيا طائفة من الورود الجميلة التي تزين اليوم حدائق الورد الألمانية ، ومن بينها الوردة المعروفة باسم وردة (الشاي) ، وإذا ذكر الشرق وأثره في هذه الناحية يجب أن تذكر الصين حيث نجد هناك الزهرة المعروفة باسم (بايوني) كمملكة للزهور ، وقد عرض للوردة (متياس يعقوب شليدن) في كتابه عن الوردة فذكر مجموعة من الورود التي انتقلت من الشرق إلى الغرب مع تواريخ استيطانها أوروبا وجاء في ص ٢٩٤ من نفس الكتاب أن عام ١٧٨٩ يعتبر من أهم الأعوام التي يجب أن تسجل في تاريخ زراعة الورود في أوروبا إلا أن عام ١٨١٠ أهم وأعظم ، وذلك لأن أوروبا أخذت في ذلك العام توجه عناية خاصة لتنظيم الحدائق وتنسيقها كما اهتمت بزراعة الوردة المعروفة باسم وردة (الشاي) التي هي عبارة عن نوع ينتمي إلى فصيلة الوردة المعروفة باسم الوردة الهندية ، فقد وصلت هذه الوردة في ذلك العام إلى إنجلترا كما جاءتها عام ١٨٢٤ من كلكتا الوردة المعروفة باسم وردة الشاي الصفراء ، كذلك زهرة الكاميليا التي تسمى (تياجا بونيكا) والتي هي قريبة من فصيلة وردة الشاي ، نزلت من وطنها الأصلي شرق آسيا إلى أوروبا في أواخر القرن السادس عشر (٢٠٠) ومن الصين جاءت أوروبا الشجيرات الجميلة التي تزين الحدائق والمتنزهات وخاصة ذلك النوع المعروف باسم (فورسيتيا) وتخرج شجيراته في الربيع زهراً أصفر يشبه لون الكبريت ، وفي منتصف القرن السادس عشر

انتقلت شجرة الكرز من ترابزنت إلى فينا كذلك الأسليح (عشب تشبه الجرجير
تنبت في الرمل وقيل هو نبات سهلي ذو ورقة دقيقة لطيفة وسنفة محشوة حباً كحب
الخشخاش) (كتاب النبات والشجر للأصمعي ص ٣٠) ذات الرائحة الجميلة جاءت
من مصر ويقال إنها انتقلت عام ١٧٥٢ من أفريقيا إلى إنجلترا .



الشرق أخذت أوربا كثيراً من الحيوانات مثل الكلب الصيني الصغير
وعن الجسم الذى انتقل إلى إنجلترا ، ويطلق عليه الإنجليز (شين) كما انتقلت
من خراسان إلى فرنسا عام ١٥٢١ أنواع القطط المعروفة باسم أنقرة . وجلبت إنجلترا
عام ١٦٩١ السمك الأحمر . أما تربية الديوك البرية ، فقد انتشرت في أوربا انتشاراً
كبيراً حتى أنه كان يكاد لا يخلو منها بيت أمير خاصة أيام اهتمام أوربا بالصين وشغف
الغربيين بكل ما هو صيني . ويظهر أيضاً أن العناية بالصقور جاءت إلى أوربا
عن طريق الشرق ، ففي اليابان نجد صيد الصقر يظهر أيام حكم القيصر (ننتوكوتنو)
(٣١٣ — ٣٩٩ م) (٢٠٢) . والتاريخ يحدثنا أن فريدرش الثانى من أسرة
هوهنزولرن وجه اهتماماً كبيراً إلى الصقور وكان في اهتمامه هذا مقتدياً بالعرب ومعجباً
باهتمامهم بها حتى استخدم القلائس لأجل الصقور والدجاج . والطاووس من طيور الهند .
أما وطن معمل التفريخ فمصر وعن الأخيرة أخذت أوربا هذه الصناعة كما جاء هذا
في كتاب أسفار (ريتز) فقد تحدث صاحب هذا الكتاب عن رحلة قام بها لمصر
عام ١٤٦٠ م وجاء في وصف هذه الرحلة : وغير بابلون نجد مصر القديمة وهى مدينة
توجد بها معامل كثيرة للتفريخ ، وذلك بوضع البيض في أفران ذات حرارة خاصة
وبعد مضي زمن تقفص الكتاكيت وتعرض للبيع . . . ونفس هذا الخبر يذكره
(جريملز هوزن) على لسان (سيمبليتي سيموس) الذى أرسله إلى مصر عام ١٦٩٩ م .
وفي القرن الثامن عشر نجد (أدلينج) يكتب مقالا عن الحمام الزاجل يعترف فيه
أن الشرق سبق الغرب في استخدامه ، والواقع أن مصر عرفته قبل أوربا بما لا يقل

عن ألف عام (٢٠٣) . ومن المناظر المصرية القديمة التي عثر عليها تلك التي تفيد أن هناك بعض الحيوانات المستأنسة مثل السمّع والفيل الأفريقي الذي استأنسه اليونانيون . وهذان الحيوانان إذا استثنينا الفيل الهندي من الحيوانات البرية اليوم . وتستخدم قبائل القرغيز النسر الكبير ، ويستخدم الفرس أنواعاً مختلفة من البوم في الصيد ، واليابانيون نوعاً من السمك يعوم ويفطس ، وقد قلده بعض سكان جنوب حوض الرين . والتاريخ يحدثنا أيضاً كيف أن قدماء المصريين استأنسوا أنواعاً كثيرة من الأوز . ويستخدم علماء الصين وفنانوهم القردة لسحق الألوان وحمل الماء كما استخدمها قدماء المصريين في حمل آنية المراهم والعطور للسيدات أو للسير خلف الرجال ، مثلها كمثّل الكلاب اليوم ، وفي غير هذه الأغراض استخدمت في مصر أيضاً في جنى التين من الشجر وتسليمه للرجال لوضعه في السلال (٢٠٤) . أما ما عرّف أنقرة الشهير فلم يرد له ذكر في المصادر الأوربية القديمة مما يرجح فكرة أن الترك هم الذين جاءوا به إلى آسيا الصغرى . وأغنام مرينو فهي كما يدل عليها اسمها قد أخذت عن بني مرين المقيمين في جوار تلمسن (٢٠٥) . والحصان العربي أجود أنواع الخيول ، وإذا ذكرت هذه الأشياء وجب ألا تنسى مجهودات الأجيال السابقة التي بذلت في سبيل تهذيبها وترقيتها .

لكن ليست فقط مناظر أوربا الزراعية هي المتأثرة بالشرق بل الطبيعية أيضاً فقد جرت العادة أن بعض الأعشاب والحشائش تنتقل مع الشعوب ، وتقتفي أثر الجيوش ، ولا أدل على ذلك من أن العشب المعروف باسم (أويسيلديوم) السوري عبارة عن تزاج بين وردة أريحا ونبت آخر قريب منها ، وهذا العشب كثير الانتشار في المناطق الممتدة من حصون الجر حتى أسوار فينا ، حيث كانت تنتهي حدود الدولة العثمانية الأبدية . أما بذور هذه الأعشاب فلم تبذرهما يد إنسان بل أكياس

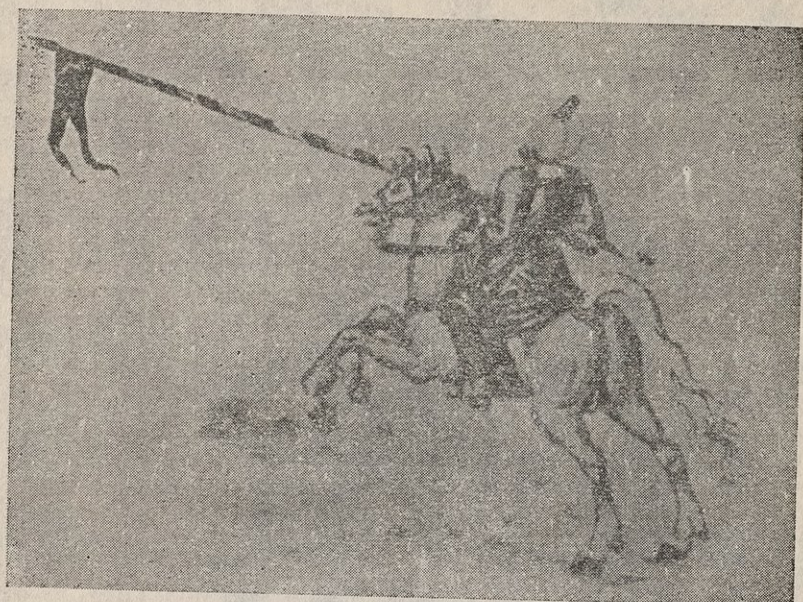
علف الخيول ، فهي التي حملتها من مواطنها الأصلية ، وهي التي حافظت عليها طول تلك المسافات الشاسعة ، وهي التي قامت ببذرهما . وقد قام الأستاذ (زمرمان) بدراسة دقيقة وافية لهذه الأعشاب فبدأ بأما كن نزول الغجر وتتبع انتشار هذه الأعشاب حتى بلغ وطنها الأصلي وهو بلاد الهند الشرقية التي منها خرجت تلك الشعوب العجرية واتجهت نحو أوربا . كذلك يقال إن زهرة اللوتس المصرية جاء ببذورها طائر مائي أثناء هجرته وهي تنبت الآن في — دوتسنش — بمدينة نورنبرج بألمانيا ولو أنها تجمد في الشتاء . وفي العصر الجليدي لم توجد في ألمانيا الفراشة ، وقد هاجرت إليها من جنوب سيبيريا في فترات متقطعة . كذلك الطيور فلولا الصيد يسقطها لأصبحت لدى الغرب مجموعات كثيرة من طيور متعددة الألوان لجأت إلى أوربا لتبحث لها عن وطن جديد ، أما الطائر المعروف باسم الكوكوك فقد عرفته ألمانيا منذ عصور قديمة جداً مما يدل على أن انتقاله إلى تلك البلاد كان منذ أزمنة بعيدة ، وينتمي هذا الطائر إلى فصيلة مختلفة الألوان تشتمل على ما يقرب من مائتي نوع .

فقط كساء الأرض قد جاء أوربا عن الشرق بل كساء الإنسان
وليس أيضاً، كما يظهر هذا من الملابس التي وجدت على الجثث التي عثر عليها
في بعض المستنقعات والمحفوظة الآن بمتحف (كيل) للآثار القومية القديمة . فبعض
هذه الأقمشة — كما ثبت أخيراً — صناعة محلية وبعضها الآخر مستورد من أمريكا
وتلك الملابس لا تمت إلى الملابس اليونانية أو الرومانية بصلة ما ، وعلى العكس
فهى تختلف عنها اختلافاً بيناً . أما السراويل كما تظهر من ملابس هذه الجثث
فشرقية قد ترجع إلى فارس ، ولا نجد ما يشبهها عند الشعوب الأوربية القديمة .
والملابس الشعبية الزاهية والمتعددة الألوان تذكرنا كثيراً بالملابس الصقلبية الشرقية .
والسيدات الألمانية يتحدثن عن الـ (كيمونو) ، وعن أكمامه ، وقد جاءت هذه
الملابس وهذا النوع من صناعاتها عن اليابان خاصة عقب انتصارها على روسيا ، كما
أن السيدات الألمانية أخذن عن اليابانيات طرق ترتيب الشعر وتزيينه . ومن
نصف قرن مضى كان البشليق التركي كثير الانتشار كما كانت شيلان الكشمير
رائجة بين أفراد الجيل السابق . واليوم نجد القميص (البلوز) البلغاري ، وقبعات
السيدات تزين بريش طيور شرقية كعصفور الجنة أو الطاووس ، والهند ما زالت
إلى اليوم تصدر ريش الطاووس ، كما كانت تفعل في العصور الوسطى ، وضافت
الشعر التي لبسها الرجال خاصة الفرسان ورجال الجيش قد تكون صينية الأصل .
وقد ثبت أخيراً أن الشرق أسبق من الغرب إلى معرفة النظارة ، أما الأحجار التي
استخدمها القياصرة الرومانيون فلم تكن عدسات ، إذ أن أول من عرف العدسة

النظاراتي العربي الشهير ابن الهيثم . أما أوربا فلم تعرفها قبل عام ١٢٧٠ م . وقد أثبت (برتولد لوفر) في بحثه القيم عن تاريخ النظارة (٢٠٦) أن الصين عرفت النظارة منذ زمن بعيد عن طريق التركستان ، وهو يرجح أن الوطن الأصلي للنظارة هو بلاد الهند . ومن الملابس الرسمية القديمة نذكر القلبق الذي هو جزء من غطاء رأس الفرسان واسمه يدل على أصله الشرقي ، وهو مأخوذ من الجزء المتدلى من غطاء الرأس عند جنود الانكشارية ، وقد فهم قديماً خطأ بأنه كم الحاج بكتاش (٢٠٧) ويرجح أن هذا القلبق جاء عن طريق فرسان الجرا أو فرقة الانكشارية البولونية ، ويجب ألا يغيب عن ذهن الألمان أن في جيشهم فرقة بروسية تركية الأصل مطلع نشيدها : نحن أولان بروسيا من يجهلنا .

إننا مشهورون في تاريخ الحروب .

فاللفظ التركي معناه (شاب) والذي حدث أن الجراف (بريل) فكر يوماً ما في محاربة فريدريش الأكبر ، فقرر لتنفيذ فكرته هذه الاستعانة بفرسان بولونيين ليقوموا بمهاجمة فريدريش هذا لکن في اللحظة الأخيرة قرر الاستعاضة عنهم بفرقة من حملة المزاريق من البوسنة ، ويطلق على أفرادها البوسنيك أو (أولان) وأحضرهم إلى درسدن . لکن حدث أن الجراف بريل أخلف وعده ، ولم يبق أمام هؤلاء الجنود إلا تركه والانضمام إلى جيش عدوه فريدريش الأكبر حيث كانوا الفرقة المعروفة باسمهم ، والتي ما زالت تعرف في الجيش البروسي بفرقة الأولان (٢٠٨) . وأسلحة هذه الفرقة تشبه سلاح الفرقة المرتزة الموجودة في الجيش التركي والتي تعرف باسم (صباهي) والتي يمتاز سلاحها بهذه الراية الصغيرة . وهنا أقدم صورة مأخوذة عن رسم يرجع إلى القرن السادس عشر وهو محفور في نحاس محفوظ بدرسدن بمتحف الآثار النحاسية ، ويرجح أنه من عمل (لوريش) (٢٠٩) .





أما الصورة الثانية فتمثل (أولان) من الحرس السكسونى .

عالم جورج يعقوب مسائل قليلة ، وترك عمداً فصولاً كاملة تتعلق بالعلوم الطبيعية والطب والترىض والفلسفة والتصوف ، وذلك لأن العلامة (ايلهرد فيدمان) أستاذ جامعة (أرلنجن) عالم هذه المواضع كخير عالم يعتقد فى نفسه الكفاءة اللازمة لدراستها ، وعلاوة على استعداده الفطرى واطلاعه الواسع ، فقد صرف سنوات عديدة متتبعاً هذه البحوث حتى لم يترك زيادة لمستزيد ، مؤلفاته الفنية حول تاريخ العلوم الطبيعية التى نشرت فى أبحاث جمعية العلوم الطبيعية والطبية بمدينة « أرلنجن » تربو على السبعين ، وتكاد لا تخلو مجلة من مجلات العلوم الطبيعية وما إليها من بحوثه المستفيضة الدقيقة التى تعنى خاصة بالناحية التاريخية معتمدة بصفة خاصة على المصادر العربية .

ويقول جورج يعقوب إنه ما جمع هذه المعلومات ، ولا قام بهذه الدراسات إلا ليخدم العلم والحقيقة ، ويقاوم هذا التيار الخاطىء الذى ينسب كل شىء إلى العالم القديم إلى اليونان واليونانيين كما يتبين ذلك واضحاً من الكتاب الذى نشره (توينر) أخيراً واسمه من القديم إلى الحديث .

ويلح جورج يعقوب فى ألا يتبادر إلى ذهن القارىء فى أنه ما كتب هذا الكتاب إلا ليجعل من الشرق جنة ومن اليونان جهنماً . والواقع أن أوربا إذا أرادت أن تعنى بدراسة ثقافتها وحضارتها وتقف على العناصر المكونة لها والتى مدتها فى كل تلك العصور بالحوية الضرورية اللازمة لها ، وجب عليها أن تعنى بالعناصر الأمريكية والأوربية والكلمية والشالية ، فما كانت ثقافة شعب من الشعوب قائمة على عنصر واحد فقط ، وما كانت هذه الثقافة تتاج عقلية شعب واحد بمفرده بل هى عبارة عن مجموعة عناصر لمجموعة من الشعوب . والبحث العلمى يجب ألا يصنع بصيغة القومية

المتعصبة بل يجب أن يسمو ويصبح عالمياً . وكما أن عالم النبات لن يستطيع أن يقصر دراسته على أسرة نباتية واحدة كذلك الحال مع سائر العلماء سواء منهم عالم اللاهوت أو اللغات أو الفنون فإن العالم من هؤلاء وأمثالهم إن لم يكن ملماً بأطراف بحثه وخبيراً بكل ما يتصل به خرج بحثه ناقصاً مشوهاً .

والحقيقة التي يجب أن يشار إليها هنا هي أن الإنسان يجب عليه ألا يخلط بين المثل العليا والحقيقة ، فإدخال الفلسفة اليونانية في مدارس الجنائز يوم الألمانية أضراً أكثر مما أفاد وذلك لأن دراسة هذه الفلسفة كانت قاصرة على قراءة ما يقرب من ثلث (پروطاغوراس) لأفلاطون في اليونانية مع وجوب العناية بالمسائل السطحية فقط . أما فيما يتعلق بالدراما وقيمتها فلم تكن فكرتها واضحة لا عند المدرس ولا عند التلميذ . إذ كان ينقضى الفصل الدراسي ولا يخرج التلميذ إلا بقراءة بعض صفحات من (أياس) . أما الثقافة اليونانية أو الفن اليوناني فلم يدرس الطالب عنهما شيئاً . لكن كم تكون الفائدة التي يجنيها الطالب عظيمة لو غير هذا النظام وحل محله نظام آخر يمكن التلميذ من الاطلاع على عدد من التراجميات والكوميديات اليونانية لكن لا في لغتها الأصلية بل مترجمة كما فعل جوته وشيلار ، وتصرف العناية إلى فهمها ودراستها دراسة عميقة . إن مثل التلميذ وهو خاضع لهذا النظام العقيم كمثل رجل من الإسكندرية قرر أن يقوم برحلة إلى الأقصر فأنفق معظم نقوده في الاستعداد للرحلة ولم يتبق له من مال أو زمن إلا ما يسمح له بالوصول إلى أسيوط . التلميذ يعنى في المدرسة بأمثال (سرفيوس تليوس) و (تلوس هوستيليوس) ومن إليهما من قادة الفكر الروماني عند دراسة اللاتينية والفرنسية والتاريخ ، وقد يحتاج إليهما وإلى أمثالهما في دراسة اللغة الألمانية أو العربية أيضاً ، وهو يعتقد في نفس الوقت أن هذه الدراسة باطلة يخرج منها وهو ما زال متعطشاً إلى دراسة أشياء أخرى أنفع له وأجدى مثل

تلك الأحداث التاريخية العظمى كقيام المستعمرات الهولندية أو الإنجليزية أو تطور أمريكا أو الشرق الصقلي ، وفضلا عن هذا فالعناية التي توجه إلى هذه الدراسات الكلاسيكية لا تضعف من الشعور القوي فحسب بل تشيد حائطاً يفصل بين أفراد الشعب ، وذلك باستخدام بعض الألفاظ التي يرمى أصحابها إلى التّعثر والتحدّق وهذه المفردات تحدث فجوة في اللغة ، وفي التفكير ، كما تفسد الدراسة الكلاسيكية الذوق الأدبي والفني ، وذلك لأن أحد الأدباء قد تسول له نفسه الكتابة في أسطورة ميتة لا يستسيغها ذوق سليم ، ولا روح فيها ، والواقع أن المؤرخين يزيفون التاريخ لو حاولوا تجميل القبيح وتشويه الحقائق كما فعل مؤرخو الرومان مدفوعين بعامل الهوس القومي والجنون الوطني كما يتبين ذلك من المصادر الموجودة اليوم . ومن الجدير بالذكر أن في الشرق تكونت الموجات الثقافية العلمية التي أدت إلى هذه الأحداث التاريخية العالمية التي جهلها كتاب العالم الكلاسيكي وشعراؤه (٢٠٨) ، وكان من نتائج تلك الموجات أن هاجرت شعوب وكأخت حتى حطمت ذلك العالم القديم وأقامت على أنقاضه هذه الدول التي تتصرف الآن في مصائر العالم . ولما كان فهم خصائص الشعب حقيقة لا بد منها لفهم ثقافته وتاريخه أدركنا عدم إلمام العالم القديم بتلك الحركات الفكرية والتموجات الثقافية التي كان مركز هبوبها الشرق (٢٠٩) . ولعل السرف في هذا هو جهل شعوب العالم الكلاسيكي باللغات الأجنبية التي هي المفاتيح الوحيدة التي توصل الباحث إلى نفسية الشعوب وفهم تقاليدها والإلمام بعلمها نظرية كانت أو عملية (٢١٠) وليست اللغات فقط هي التي جهلتها تلك الشعوب بل العلوم الطبيعية أيضاً القائمة على التجربة والملاحظة . فالتاريخ يحدّثنا مثلاً أن أرسطو اعتقد أن في استطاعته تخليص ماء البحر من ملوحته عن طريق إناء من الشمع (٢١١) . إن البشرية في حاجة ماسة إلى التزود بمختلف الأسلحة لمواجهة الحياة ومتاعبها

وفي حاجة إلى أفق أوسع ونظرة للحياة أخرى غير تلك التي نجدتها فيما يسمى
(هيومانيزم) وليس لدينا من الوقت ما يسمح لنا أن نمضي زمناً طويلاً وأعواماً
كثيرة في سبيل دراسة حروب السبنيين والسمنيتيين بينما نهمل الأحداث التاريخية
العالمية . إن اشتقاق كلمة (هيومانيزمس) غير واضح ، ومدلولها غامض ، ومجرد التفكير
في هذه الكلمة قد يؤدي إلى توارد أفكار خاطئة . فاليونان الأقدمون جهلوا أو لم
يصلوا إلى كلمة تعبر عن الإنسانية وأولئك الذين يستخدمون لفظ (هيومانيزمس)
يحاربون في الواقع لأجل الوصول إلى مثل عليها نجدتها واضحة جلية في الصين ، ولا يقصد
المؤلف هنا أن يقارن بين اليونان والصين ، ولا أن يقول إن الصين هي وطن المثل
العلياء ، وذلك لأن مثل هذه المقارنات قد تؤدي إلى قيام مثل هذه الفكرة التي تجول
بخاطر كثيرين من الأوروبيين ، وهي أن كل اثنين من الألمان إذا اجتمعوا فإما يمتحن
أحدهما الآخر أو يعده للامتحان ، ومن الجدير بالذكر أن الجراف (كينزلينج)
دهش عندما رأى أن المعبد الصيني لا يقل روعة عن المعبد اليوناني ، وأن فكرة
الإنسانية سائدة في الصين سيادتها في بلاد اليونان (٢١٢) وقد ذكر هذا الجراف
في كتابه رحلة فيلسوف : يقرر لغويو أوروبا أن الدراسات الكلاسيكية على جانب
عظيم من الأهمية ، وأن الشخص المثقف ثقافة كلاسيكية هو الذي يجيد اليونانية
واللاتينية ، والخبير بشيشرون . وهذا الشخص فقط هو الذي يستطيع أن ينهض بكل
ضروريات الحياة ومطالبها لكن هذا خطأ ولا يطابق أوروبا ، وذلك لأن عقلية اليونان
أو الرومان ليست عقليتنا . . . ولا يقتصر المؤلف على العبارات بل يقرر أموراً أخرى
يجدها المطلع على كتابه الذي ألفه بعد قيامه برحلته العالمية التي مكنته من هذه الدراسة
العميقة الدقيقة ، كما أدرك الزاوية الضيقة التي انحصرت فيها الثقافة الغربية . فالإنسان
اليوم والجرماني بصفة خاصة يفهم المثل الأعلى للفظ (إنسانية) على أنه التطور الشامل

لكافة الشعوب مع منحها كل الوسائل الضرورية لبلوغ هذا التطور ولا أصدق من كلمة (مهامة) للتعبير عن هذه الرغبة . إننا نرجو أن تحقق عبارة (إنسانية) كما نفهمها نحن أبناء هذا الجيل أعنى أن تزول الفوارق بين الشرق والغرب وألا يحول اللون دون تحقيق المساواة بين سائر البشر .

في حدود هذه المواضيع عرض المؤلف لبحث أثر الشرق في الغرب وفي حدود هذه المواضيع أيضاً تصرفت أنا في ترجمة الكتاب وفي إعداده في صورته الحالية التي تتفق وتاريخ إخراجها . أما سائر المواضيع الأخرى سواء منها تلك التي أشرت إليها في ثنايا هذا الكتاب أو لم أشرف قد تركتها جانباً راجياً أن تتاح لي الفرصة في المستقبل لأقدمها مستقلة للقارئ العربي .

ولا يفوتني أن أقدم جزيل شكرى للجنة البيان العربى لقيامها بنشر هذا الكتاب ولطبعة بنك مصر للمجهود الذى بذلته لإخراجها في أحسن صورة ممكنة .

بعض مصادر الكتاب

- ١ — KARL SCHUCHARDT : *Alteuropa*, 1919.
- ٢ — LEO FROBENIUS : *Vom Kulturreich des Festlandes*, 1923.
- ٣ — *Reallexikon der germanischen Altertumskunde*, Art. Getreide.
- ٤ — *Verhandlungen der Berliner Gesellschaft für Anthropologie, Ethnologie und Urgeschichte*, Jahrg., 1877.
- ٥ — G. BERENDT : *Die pommerllischen Gesichtsurnen*, Band 1, 1872.
- ٦ — *Nachrichten über deutsche Altertumskunde*, 1891, Heft 4.
- ٧ — H. CONWENTZ : *Das westpreussische Provinzial-Museum*, 1905, Tafel 57.
- ٨ — *Der anthropologischen Sektion der Danziger Naturforschenden Gesellschaft*, 1885.
- ٩ — V. MARTENS : (*Cypraea pantherina*).
- ١٠ — *Globus* 1874 ; ANDREE, *Geographie des Welthandels*, 1. Band.
- ١١ — *Hildebrands Teekninger ur Svenska Statens Historiska Museum*, Heft 3.
- ١٢ — Ibid.
- ١٣ — *Archives d'études orientales* Vol. 8, Upsal 1914.
BERTHOLD LAUFER : *The Bird Chariot in China and Europe*, 1905.
- ١٤ — Tiesenhausen im 3. Bande der Wiener Numismatischen Zeitschrift, 1871
- ١٥ — PRAGORT : *Samarqand*.
- ١٦ — *Rapport des séances annuelles de la Société Royale des antiquaires du nord* 1838-1839.
- ١٧ — NÖBBE : *Münzfunde aus dem 8 — 10. Jahrg.*, 1923.
- ١٨ — JULIUS FRIEDLAENDER : *Der Fund von Obrzyeko*, 1844.
- ١٩ — HUGO GRESSMANN : *Vom reichen Mann und armen Lazarus*, 1918.
- ٢٠ — OSKAR MUENSTERBERG : *Chinesische Kunstgeschichte*.
- ٢١ — E. DIEZ : *Studien zur Kunst des Ostens*, 1893.

- ٢٢ — REIZENSTEIN : *Histor. Ztschr.* 126, S. 30.
- ٢٣ — Ibid.
- ٢٤ — TH. SCHULTZE : *Der Buddhismus als Religion der Zukunft.*
- ٢٥ — H. WINCKLER : *Die babylonische Kultur in ihren Beziehungen zur unsrigen*, 1902.
- ٢٦ — BROWNE : *A Literary History of Persia.* 1902.
- ٢٧ — F. KLUGE : *Die Heimat der Brieftaube.* Frankfurter Zeitung, Januar 1906.
- ٢٨ — REICHWEIN : *China und Europa*, 1923.
- ٢٩ — E. LITTMANN : *Morgenländische Wörter im Deutschen*, 1920.
- ٣٠ — JDELER : *Untersuchungen über den Ursprung und die Bedeutung der Sternnamen*, 1809.
- ٣١ — CARL SCHUZE : *Die biblischen Sprichwörter der deutschen Sprache.*
- ٣٢ — Exodus 6,23
- ٣٣ — BOCK : *Die Kleinodien des heiligen römischen Reiches deutscher nation*, 1864.
- ٣٤ — G. JACOB : *Märchen und Traum.*
- ٣٥ — HANS NAUMANN : *Primitive Gemeinschaftskultur*, 1921.
- ٣٦ — LIDZBARSKI : *Der Ursprung der nord-und südsemitischen Schrift.*
- ٣٧ — G. BÜHLER : *Indische Palaeographie*, 1896.
- ٣٨ — R. STÜBE : *Der Ursprung des Alphabets und seine Entwicklung*, 1922.
- ٣٩ — K. SETHE : *Die neuentdeckte Sinai-Schrift.* 1918.
- ٤٠ — V. BISSING : *Die Datierung der Petrieschen Sinaiinschriften.* 1920.
- ٤١ — TH. NÖLDEKE : *Delectus veterum carminum Arabicorum.*
- ٤٢ — WÜNSCHE : *Der Babylonische Talmud*, 1886.
- ٤٣ — TH. NÖLDEKE : *Geschichte des Qorans*, 1936.
- ٤٤ — M. HABERLAND : *Zur Geschichte der Null.* Osterr. Monatss. f. d. Orient 189.
- ٤٥ — ED. SELER : *Gesammelte Abhandlungen zur amerikannischen Sprach-und Altertumskunde.*
- ٤٦ — Compare english "cipher".
- ٤٧ — KARL KRUMBACHER : *Woher stammt das Wort Ziffer?*

- १A — F. WOEPKE: *Mémoire sur la propagation des chiffres indiens*,
 J. A. VI. Série, 1863.
- १9 — Revue archéologique, 1879.
- २० — LEGARDE: *Woher stammt das(x) der Mathematiker*, 1884.
- २1 — *Sur l'origine des nos chiffres*. lettre de M. L. Am. Sédillot
 à M. le prince Balthauser Boncompagni, 1865.
- २2 — *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, 1905.
- २3 — *Journal of the Asiatic Society of Bengal*, Vol. VII.
- २४ — *Bühlers indischer Palaeographie*.
- २२ — GOTTHOLD GUNDERMANN: *Die Zahlzeichen*, 1899.
- २6 — Ja'qûbis Geschichtswerk.
- २7 — HERMANN SCHUBERT: *Zählen und Zahl*, 1887.
- २8 — J. SCHMIDT: *Die Urheimat der Indogermanen und das euro-
 päische Zahlssystem*, 1890.
- २9 — H. VOGT: *Haben die alten Inder den Pythagoraischen Lehrsatz*,
 1906.
- 30 — A. WYLIE: *Magnetic Compass in China*, 1897.
- 31 — E. WIEDEMANN: *Zur Geschichte des Kompasses bei den Arabern*.
- 32 — BÄVERU-JĀTAKA: *Jātakam übers. von Dutoit*.
- 33 — Landnāmabðk.
- 3४ — LÉOPOLD DE SAUSSURE: *L'origine de la rose des vents et
 l'invention de la boussole*.
- 35 — DE GOEJE: *Quelques observations sur le feu Grégois*, 1904.
- 36 — E. V. LIPPMANN: *Entstehung und Ausbreitung der Alchemie*,
 1919.
- 37 — J. v. ROMOCKI: *Geschichte der Explosivstoffe . . .*, 1895.
- 38 — *Zeitschrift für Naturwissenschaft*, Bd. 71, 1898.
- 39 — Stansislus Julien bei Reinaud et Favé, du feu grégeois. . ,
 J. A. 1849.
- 40 — RASCHİDEDDİN: ed. Quatremère, Paris 1836.
- 41 — E. WIEDEMANN: *Beiträge zur Geschichte der Naturwis-
 senschaften*, 1906.
- 42 — O. GUTTMANN: *Das älteste Dokument zur Geschichte des
 Schiesspulver Zeitschrift für angewandte Chemie*, 1904.
- 43 — FURTWÄNGLER: *Antike Gemmen*.

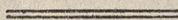
- ⅤⅤ — F. HIRTH: *Die Erfindung des Papiers in China*, 1890.
- ⅤⅥ — GLOBUS: Bd. 82, 1902
- ⅤⅦ — KARABACEK: *Das Arabische Papier*.
- ⅤⅧ — WIENER SITZUNGSBER: Philos. hist. Klasse, 148. Band 1904.
- ⅤⅨ — R. KOBERT: *Über das älteste in Deutschland befindliche echte Papier*, 1911.
- ⅤⅩ — KARABACEK: *Das arabische Papier*.
- ⅥⅠ — J. WIESNER: *Die Faijûmer und Uschmûneiner Papiere*, 1887.
- ⅥⅡ — Grünerts Arabische Lesestücke.
- ⅥⅢ — CICERONE: 15. Jahrg. Heft 22, November 1923.
- ⅥⅣ — HEINRICH SCHURTZ: *Urgeschichte der Kultur*.
- ⅥⅤ — R. FORRER: *Les Imprimeurs des Tissus*, 1898.
- ⅥⅥ — Hampes Katalog der Gewebesammlung des Germanischen Nationalmuseum.
- ⅥⅦ — KARABACEK: *Führer durch die Ausstellung* (Papyrus Eazherzog Rainer), 1891.
- ⅥⅧ — Transactions of the Asiatic Society of Japan, Vol. X, 1882.
- ⅥⅨ — Kwanho zattschô und Kokoku schobatsu.
- ⅥⅩ — Schiûko zissshiu, Band 1.
- ⅦⅠ — Journal of the China Branch of the Royal Asiatic Society, 1885.
- ⅦⅡ — Erdkunde, 2. Teil, 1832.
- ⅦⅢ — G. KUTH: *'Jigs-med nam-mk'a*, 1896.
- ⅦⅣ — Abhandlungen der königl. Preuss. akad. d. Wiss. 1910.
- ⅦⅤ — B. LAUFER: *Zur buddhistischen Literatur der Uiguren*, 1907.
- ⅦⅥ — Oesterreichische Monatsschrift für den Orient, 1890, Jahrg. 16.
- ⅦⅦ — Ibid.
- ⅦⅧ — KLAPPROTH: *Lettre à M. le baron A. de Humboldt sur l'invention de la boussole*, 1834.
- ⅦⅨ — WITTENBACH: *Schriftwesen in Mittelalter*.
- ⅦⅩ — T. O. WEIGEL und A. ZESTERMANN: *Die Anfänge der Druckerkunst*, 1866.
- ⅧⅠ — O. MÜNSTERBERG: *Chinesische Kunstgeschichte*.
- ⅧⅡ — P. KRISTELLER: *Kupferstich und Holzschnitt in vier Jahrhunderten*.

- 102 — Zentralblatt für Bibliothekswesen, 12 Jahrg.
- 103 — Wegweiser durch das Germanische Museum, 1901.
- 104 — Elementum, 1899.
- 105 — G. ZEDLER: *Von Coster zu Gutenberg*, 1921.
- 106 — WATTENBACH: *Schriftwesen im Mittelalter*.
- 107 — GUTENBREG: *Festschrift*,
- 108 — Journal Asiatique, IV. 1847.
- 109 — Transactions of the Asiatic Society of Japan X, 1882.
- 110 — Ibid.
- 111 — H. WINKLER: *Die babylonische Kultur in ihren Beziehung zur unsrigen*, 1902.
- 112 — Journal Asiatique, 1822.
- 113 — QUATREMÈRE: Notes et extraits XIV.
- 114 — Vullers Lexicon Persico-Latinum s. v. 'amel.
- 115 — M. WEBER: *Gesammelte Aufsätze zur Religionssoziologie*, 1920.
- 116 — GRASSHOF: *Das Wechselrecht der Araber*, 1899.
- 117 — REICHWEIN: *China und Europa*, 1923.
- 118 — Ibid.
- 119 — Ibid.
- 120 — Friedrich Carl Andreas Festschrift, 1916.
- 121 — A. NEUBERGER: *Die Technik des Altertums*, 1919.
- 122 — Reins Japan, 1886.
- 123 — SARRE: *Islamische Bucheinbänden*, 1923.
- 124 — REICHWEIN: *China und Europa*, 1923.
- 125 — Die Lackindustrie in Ispahan schildert Thevenot, 1727.
- 126 — REICHWEIN: *China und Europa*, Berlin 1923.
- 127 — GRAUL: *Ostasiatische Kunst und ihr Einfluss auf Europa*.
- 128 — Ibid.
- 129 — Ibid.
- 130 — LEHMANN-HAUPT: *Zur Herkunft der ionischen Säule*, 1913.
- 131 — Die Abb. 26, 28 bei Puchstein.
- 132 — Münchner Jahrbuch der Bildenden Künste, 1913.
- 133 — Neue Jahrbücher für das klassische Altertum, 8. Jahrg., 1905.

- 134 — A. GOSSET : *Les couples d'Orient et d'Occident*, 1890.
- 135 — DIEZ : *Studien zur Kunst des Ostens*, 1923.
- 136 — HASAK : *Die Entstehung der islamischen Baukunst*, 1920.
- 137 — STEINRECHT : *Schloss Marienburg*, 1922.
- 138 — ZIESEMER : *Braunes Beiträge*, 47 Band. 1923.
- 139 — F. LASKE : *Der ostasiatische Einfluss auf die Baukunst*, 1909.
- 140 — B. SCHMID : *Die Bau - und Kunstdenkmäler des Kreises Marienburg*, 1919.
- 141 — Untersuchungen zur deutschen Staats-und Rechtsgeschichte, 71 Heft.
- 142 — R. GRAUL : *Ostasiatische Kunst und ihr Einfluss auf Europa*.
- 143 — H. BOTHMER : *Jahrbuch des Deutschösterreichischen Orientklubs*, 1903.
- 144 — W. PIETSCH : *Die Maler des Orients*, 1895.
- 145 — L. MOHRENWITZ : *Delacroix und die Romantik in Frankreich*, 1913.
- 146 — R. MÜTHER : *Geschichte der Malerei im 19. Jahrg*, 1895.
- 147 — F. HOMMEL : *Die älteste arabische Barlaam-Version*, 1887.
- 148 — Abhandlungen der Preussischen Akad. d. Wiss. Jahrg, 1918.
- 149 — H. NAUMANN : *Primitive Gemeinschaftskultur*, 1921.
- 150 — ETHÉ : *Essays und Studien*, 1872.
- 151 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Bd. 14.
- 152 — M. HABERLANDT : *Der altindische Geist*, 1887.
- 153 — A. FORKE : *Die indischen Märchen und ihre Bedeutung* 1911.
- 154 — KUGLER : *Geschichte der Kreuzzüge*
- 155 — G. JACOB : *Schanfara — Studien*, 1923.
- 156 — BARON CAY V. BROCKDORFF : *Die einsame Insel*, 1917.
- 157 — GEIBLS : *Der Junge Tscherkessenfürst*, 1859.
- 158 — Deutsche Viertel Jahrsschrift für Literaturwissenschaft, 1923.
- 159 — GOETHE : *Jahrbuch*, 8. Band, 1887.
- 160 — WILAMOWITZ : *Reden und Vorträge*, 1902.
- 161 — W. BEOWULF : *Das Lied Volkers in Jordans Nibelungen*.

- 162 — GRAF SCHACK: *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sicilien*.
- 163 — Kleinere Schriften. Bd. 2 und 3.
- 164 — G. JACOB: *Moderne Schattenspiele*, (Die Woche, Heft 48, 1907).
- 165 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 43.
- 166 — M. HABERLANDT: *Der altindische Geist*, 1887.
- 167 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 41.
- 168 — Sa'dîs Bustân 11 v. 185, ed. Graf, S. 157.
- 169 — Sa'dîs Bustân 11 v. 70, ed. Graf, S. 145.
- 170 — Augs. Brockhaus Nr. 117, 7.
- 171 — Haberlandt, *Der altindische Geist*.
- 172 — G. SCHLEGEL: *Chinesische Bräuche und Spiele in Europa*, 1869.
- 173 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 41.
- 174 — F. JAHN: *Alte Deutsche Spiele*. 1923.
- 175 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 53.
- 176 — LUISE KLEBS: *Die Reliefs des alten Reiches*, 1922.
- 177 — G. SCHLEGEL: *Chinesische Braeuche und Spiele in Europa*.
- 178 — Qazwînî Bd. 1 1.
- 179 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Bd. 43
- 180 — VAMBÉRY: *Die primitive Kulture des turko-tatarischen Volkes*.
- 181 — STRUTT: *The Sports and Pastimes of the People of England*.
- 182 — C. SACHS: *Die Musikinstrumente Indiens und Indonesiens*, 1914.
- 183 — Mitteilungen der Deutschen Gesellschaft für Natur — und Völkerkunde Ostasiens., 7. Band.
- 184 — Petschewi, Ta'rîh 1, Konstantinopel 1283 h.
- 185 — A. HASTERLIK: *Von Reiz - und Rauschmitteln*: 1918.
- 186 — P. KRAENSEL: *Entwicklung und gegenwaertiger Stand des chinesischen Teehandels* 1902.
- 187 — KAKUZO ORAKURA: *Das Buch vom Tee*.
- 188 — H. WEIGMANN: *Mykologie der Milch*. 1911.
- 189 — FLUECKIGER: *Pharamakonosie des Pflanzenreichs*.

190. — Hobson—Jobson. 1889.
191. — HABERLANDT : *Der altindische Geist*.
192. — J. J. SAAR : *Ost - Indianische Fünfzehn Jaehrige Kriegsdienste*, 1672.
193. — ERMAN-RANKE : *Aegpyten*.
194. — F. HROZAY : *Das Getreide im alten Babylonien*, 1914.
195. — E. WIEDEMANN : Beiträge 51, 52, 55.
196. — Verslagen an Mededeelingen IV, 6, 1904.
197. — V. HEHN : *Kulturpflanzen und Haustiere*, 1911.
198. — J. BECKMANN : *Beitraege zur Geschichte der Erfindungen*, 1792.
199. — M. J. SCHLEIDEN : *Die Rose*, 1873.
200. — DIETRICH : *Geschichte des Gartenhauses*, 1863.
201. — Ibid.
202. — Mitteilungen der Deutschen Gesell. für Natur — und Völkerkunde Ostasiens. 10. Band. 1904.
203. — PAPYRUS ERZHERZOG RAINER : *Führer durch die Ausstellung*, 1894.
204. — KLEBS : *Die Reliefs und Malerein des mittleren Reiches*.
205. — Dozys suppl. Art. 'dwî.
206. — B. LAUFER : *Zur Geschichte der Brille*, 1908.
207. — Türkische Bibliothek, 9 Bd. 1907.
208. — Wissenschaftliche Mitteilungen für Bosnien 1900.
209. — Allg. Deutschen Biographie. Bd. 19.
210. — DE GROOT : *Die Hunnen der vorgeschichtlichen Zeit*, 1921.
211. — Chemiker Zeitung. 1911, Nr. 127.
212. — GRAF KEYSERLING : *Reisetagebuech des Philosophen*, 1921.



کشاف

۸۲ :	تصویر	۳۴ ، ۳۲ ، ۱۴ :	بارود	(۱)	
۱۵ :	تعریفه	۱۵ :	(بازار)	۱۸ — ۱۷ ، ۲ :	ابجد
۱۵ :	تفت	۱۰۰ :	(بایونی)	۴۹ ، ۴۷ ، ۴۵ ، ۳۴ ، ۲۸ ، ۲۵ :	
۱۰۲ :	تفریح	۳۵ :	(بت)	۱۲ :	ابرة
۱۲ :	تکیه	۱۵ :	(براناش)	۹۵ :	(ابزنت)
۱۶ :	تلجرافی	۶۲ ، ۳۸ ، ۳۵ :	بردی	۵ :	ابن الإنسان
۱۵ :	توابل	۱۴ :	برق	۲۷ :	اثنا عشر
۹۲ :	(تورا)	۹۳ :	(بروم توفیل)	۱۲ :	الأحد
۹۹ ، ۱۵ :	(تولب)	۱۰۵ :	(بشلیق)	۸۲ — ۸۸ ، ۱۱۱ :	أدب
۱۵ :	(توهو)	۶۱ :	بصلة	۱۴ :	(ادمیرال)
۷ :	(تیجریس)	۴ :	بککشیه	۱۴ :	(ارسنال)
۱۲ :	(تیوزوفیه)	۱۰۵ :	(بلوز)	۱۵ :	اطلس
(ث)		۹۲ :	(بلرمبساك)	۱۴ :	الـة
۱۲ :	ثالث عشر	۱۵ :	(بلیتی)	۸۸ :	الفیوم ویوم
۳۳ — ۳۲ :	ثلج الصين	۹۵ :	بن	۱۵ :	الیرایث
(ج)		۶۲ :	بناء	۱۵ :	الیشیع
۶۱ :	(جالیه)	۱۵ :	بنیج	۱۵ :	الیصابات
۲۷ ، ۱۵ :	جبر	۹۶ :	بنش	۱۴ :	امیر
۱۵ :	جبة	۱۲ :	(بهیکهو)	۱۲ :	(انتروپوزفی)
۲۳ :	جزمة	۳۹ :	(بوخ)	۸۸ :	(اوبریت)
۹۶ ، ۹۴ :	جعة	۳۲ ، ۳۰ — ۲۹ :	بوصلة	۸۳ — ۸۲ :	(اورینتال)
۵۳ :	جل	۵۳ ، ۳۴ :		۱۰۳ :	اوز
۱۵ :	(جوکان)	۱۰۳ :	بوم	۱۰۹ ، ۱۰۶ :	(اولان)
۱۵ :	(جوهر)	۹۱ :	(بوئین شیل)	۱۰۳ :	(اویسلدیوم)
۷ :	(جویدار)	۱۵ :	(بوهو)	۱۲ :	ایزیس
(ح)		(ت)		۱۲ :	(ایون)
۶۴ :	حجر	۸۶ ، ۸۳ :	(تروبادور)	(ب)	
		۸۹ :	تلبة	۶۲ :	(باتیک)
		۱۲ :	تصوف		

٦٢ ، ٥٥ ، ٤ :	سجاد	(ذ)	١٥ :	حديقة
٨٥ :	سجع	ذهب : ٥١	٤٩ - ٤٥ :	حروف
١٠٥ :	سروال	(ر)	٢٣ :	حساب
٩٧ ، ١٥ :	سكر	٣٩ :	١٠٣ :	حصان
٢٢ :	سكون	(رام) :	١٣ :	حظ
١٥ :	سمت	١٢ :	٨٣ :	حكمة
١٠٣ :	سمع	١٤ :	٢١ :	حلقه
١٠٣ - ١٠٢ :	سمك	١٥ :	١٠٢ ، ٥٣ :	حمام
١٥ :	سوزان	١٥ :	٥٢ :	حوالة
١٥ :	سوسن	رزمه : ٣٩ ، ١٥	(خ)	
٢٦ - ٢٥ :	سياقة	رق : ٣٥	٨٩ :	خرافات
(ش)		٧ :	١٥ :	خربة خالية
١٠٥ :	شال	٧ :	٩٨ :	خرشوف
٩٤ ، ١٥ ، ٥ :	شاي	١٤ :	٥٧ ، ٥٥ :	خزف
١٠٠ ، ٩٥		(رونفتوتهارك) : ١٧	٩٤ :	خمر
١٥ :	(شبولك)	٢٧ :	٤ - ٣ :	خيال الظل
١٥ :	شجرة	٧ :	(د)	
١٥ :	شراب	٣٩ :	١٤ :	دار الصناعة
٨٣ :	شرب	١٠٥ :	٢٣ - ٢٢ :	دارة
٩١ - ٨٩ :	شطرنج	٣٩ :	٩١ - ٩٠ :	دام
٩١ - ٨٢ :	شعر	(ز)	١٥ :	دبران
١٠٥ :	شعر	٥٧ :	١٠٢ :	دجاج
٧ :	شعر	٨٦ :	١٢ ، ٤ :	دراویش
٢٤ :	(شفر)	١٢ :	٥٣ :	(دروشكة)
٩٩ ، ١٥ :	شقائق	٩٩ :	٣٩ :	(دست)
٦٤ :	شمعدان	١٥ :	٩١ :	(دومينو)
١٥ :	شوشن	٩٨ :	١٢ :	دير
٢٥ :	شيء	(زوركروت) :	٣٩ :	(ديست)
٥٢ :	شيك	٢٤ :	١٠٢ :	ديك
١٥ :	(شيكان)	(س)	١٢ - ١١ :	دين
(ص)		٩٨ :	٤٤ :	دينار
٢٣ ، ٩ ، ٧ :	صدفة	١٢ :	٨٣ :	ديوان
١٥ :	صفة	٢٧ :		

صِفَر : ٢٤ - ٢٠ ، ١٥	غلاف : ٦٢	(كبريا) : ٩٧
صقر : ١٠٢	غناء : ٨٨ ، ٨٣	كبريت : ٣٢
صلاة : ١٢ - ١١	غنم : ١٠٣	الكتاب المقدس : ١٥ ، ٨٤ ، ٨٨
(صوفا) : ١٥	غول : ١٥	كتابة : ١٤ ، ١٨ - ٢٠ ، ٤٢ ، ٣٥ - ٣٤ ، ٢٦
(ض)	(ف)	كحول : ١٥
ضفيرة : ١٠٥	خم : ٣٢	(كرتل) : ٩٣
(ط)	نخار : ٦١	(كرديس) : ٩١
طائر : ٩٢	فراء : ١٥	كرز : ١٠١
طاولة : ٩١	فراشة : ١٠٤	(كرشنر) : ١٥
طاووس : ١٠٥ ، ١٠٢	فضة : ٥١	(كريق) : ١٥
طباعة : ١٤ ، ٣٤ - ٣٥ ، ٣٩ - ٤٩	فلك : ٩٢ ، ٩٠	كستناء : ٩٩ ، ١٥
طبل : ١٤	فن : ٨٦ - ٨٧ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٦١	كلب : ١٠٢ - ١٠٣
طوريسد : ٣٣	(فورسيتيا) : ١٠٠	(كليك) : ٩٢
طير : ١٠٤	(فيزيوكرات) : ٥٣	كوكوك : ١٠٤
(ظ)	(فيشرشيشن) : ٩٢	(كيزركرون) : ١٠٠
الظل الصيني : ٨٨	فيل : ١٠٣	(كيمونو) : ١٠٥
(ع)	(ق)	(ل)
غدد : ٢٨ - ٢٥ ، ١٤	قافية : ٨٤ - ٨٦	لباد : ٣٥ - ٣٦
عدسة : ١٠٥	قبة : ٦٤ ، ١٥ ، ١١	لعب : ٩٢
عذراء : ٢٠ ، ١٢	قرد : ١٠٣	لك : ٥٩ ، ٥٧ ، ١٥
عربة : ٥٩ ، ٥٣ ، ١٤	قرق : ٩٠	لوتس : ٦٢
عراق : ٩٥ ، ١٥	قز : ١٥	لوفارتم : ٢٠
عصري : ٢٧	قصب : ٩٧	(لينكس) : ٧
عشق : ٨٣	قط : ١٠٢	(ليتوجرافي) : ١٦
علامة X : ٢٥ - ٢٤	قطن : ١٤	(م)
عود : ١٥	قلبك : ١٠٦ ، ١٤	مادة : ٣٤
عيد : ١٢	قماش : ١٠٥ ، ٥٥ ، ٤٠	مأذنة : ١١
(غ)	قهوة : ٩٤ ، ١٥ ، ٥	ماري : ١٥
غازية : ١٥	قيشاني : ٦١	ماعنز : ١٠٣
غراب : ١٢	قيمة : ٥١ ، ٢٤	مأمون : ١٥
غزل : ٨٦ ، ٨٣	(ك)	(مايهونج) : ٩١
	كاميليا : ١٠٠	(متراً) : ١٢

متیا : ۱۵	میشیل : ۱۵	(هکسامتر) : ۸۵
متیاس : ۱۵	مینا : ۵۵	هندسة : ۲۷
مثل : ۸۳	(ن)	(هوردة) : ۱۵
محراب : ۱۱	ناقوس : ۱۱	(هیومانیزم) : ۱۱۲
مخا : ۹۴	نپید : ۹۶ ، ۹۴	هیروغلیفیة : ۱۸
مخاریق : ۹۱	نترات : ۳۳ — ۳۲	(و)
مخزن : ۱۵	نخلة : ۹۷	(الذسر) الواقع : ۱۵
(مراسیان) : ۹۷	نرد : ۹۱	ورد : ۱۰۳ ، ۱۰۰ — ۹۹
مرزبان : ۹۸	نسر : ۱۰۳	ورق : ۱۷ ، ۳۴ — ۴۲ ، ۴۴ — ۴۵
مرهم : ۱۵	نسیج : ۵۵	۵۹ ، ۵۷ ، ۵۲ — ۵۱
مرهمور : ۸۲	نظارة : ۱۰۵ — ۱۰۶	وشم : ۴۰
مسبحة : ۱۲	نقط : ۳۱	(ی)
مستق : ۳۳	نقطه : ۲۴ — ۲۲	یاسمین : ۹۹ ، ۱۵
مسر ح : ۸۸	تقود : ۹ — ۱۰ ، ۳۹ ، ۵۲ — ۵۱ ، ۴۴	یوحانان : ۱۵
مسیحیة : ۱۱ ، ۱۲ — ۱۲	(نیب) : ۹۲	یوحنا : ۱۵
(مواد) مفرقة : ۳۱ — ۳۳	نیلة : ۱۵	یوسف : ۱۵
مقهی : ۹۴	(ه)	یوغرت : ۹۵
منبر : ۱۱	(هرز برای) : ۹۴	(یوبتسو) : ۹۳
موالیا : ۸۶		
موثبان : ۹۸		
(مونیتا) : ۷		

كتب أخرى للمؤلف

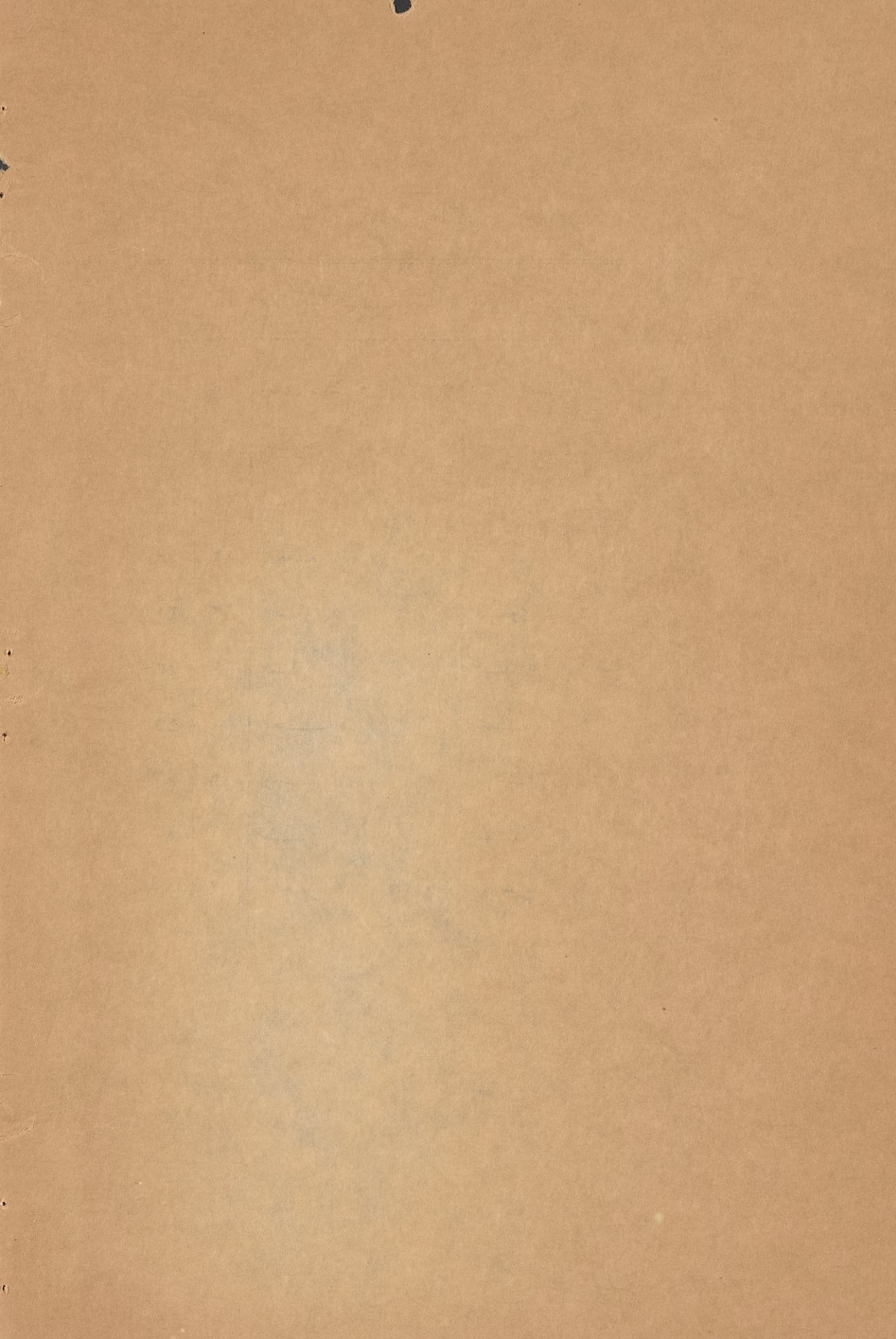
- (١) التوطئة فى اللغة العبرية . القاهرة ١٩٤٠
- (٢) التوراة عرض وتحليل . القاهرة ١٩٤٦
- (٣) Agyptische Volkslieder. Stuttgart 1939

بحوث علمية

- (١) أداة التعريف فى اللغة العربية (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول المجلد السابع يوليه سنة ١٩٤٤)
- (٢) الهمزة (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول العدد الثامن المجلد الأول مايو ١٩٤٦)
- (٣) The Hebrew by the Samaritans (The Bulletin of the Faculty of Arts May 1942
- (٤) Sauqf (Orientalistische Studien :Enno Littmann 1935).

استدراك

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ستة وعشرين	ست وعشرين	٨	٤
خربة	خريّة	١٧	١٥
متياس	ميناس	٢١	١٥
ترجع	يرجع	١٢	١٨
أماوى	أساوى	١٣	٢٤
قيل إن	قيل أن	٧	٤٣
ممهدة	معهدة	٤	٤٦
وأغدو	وأغدوا	٦	٨٠
مُهرّثة	مُهرّثة	١١	٨٠
مُرْمِلُ	مُرْمِلَ	١٢	٨٠





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 059593044

P